فتح المواهب وكنز المطالب في التنبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراغب

تأليف

الإمام العالم العلَّامة أحمد بن عقبة الحضرمى

" ٨٢٤ - ٨٩٥ هـ"

شرح العارف بالله احمد بن احمد بن محمد بن عيسى الفاسي

المعروف بزروق

المتوفى عام 899

المكتبة الصوفية الجديدة

فتح المواهب وكنز المطالب في التنبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراغب

تأليف

الإمام العالم العلَّامة أحمد بن عقبة الحضرمي

" ٨٢٤ – ٨٩٥ هـ "

شرح العارف بالله احمد بن احمد بن مُحَمَّد بن عيسى الفاسي

المعروف بزروق

" ٨٤٦ – ٨٩٩ هـ "

التكية العلاوية الدَّرقاوية الشَّاذلية
بإشراف الشَّيخ مُحمَّد جهاد ناصر أحمد الصالحي
حفظه الله وقُدِّس سره
العراق – كركوك
٢٠٢٢م – ١٤٤٣هـ

٩٢٢/٦٢

ح ٦٤٨ االحضرمي، احمد بن عقبة .

فتح المواهب وكنز المطالب في التنبيه على بعض مايتعلق بصدور المراتب ونيل بعض المراغب/احمد بن عقبة الحضرمي ؛تحقيق محمد جهاد ناصر الرفاعي؛شرح احمد بن محمد الفاسي .-ط١.-كركوك:الزاوية العلاوية ،٢٠٢٢.

٢٠١ص ؛٢٨سم.

١- الحضرمي ،احمد بن عقبة (رجل دين متصوف) ا-الفاسي، احمد بن محمد (الشارح).ب-الرفاعي ، محمد جهاد (محقق) جـ - العنوان

م . و.

٢٠٢٢/٣٩٨٣

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٩٨٣) لسنة ٢٠٢٢

website:www.alshathlia.com
Email:shathlia.iq@gmail.com

المؤلف

أسمهُ وولادتهُ

حُجَّة العارفين، وشَيخ الواصلين، إمام الإرشاد، وشيخ العباد والزهاد، القُطب الغوث، المتصرف صاحب الدائرة الكبرى إمام الأئمة وغوث الأمة، الولي الكبير والعَلَم الشهير سيّدي تاج الدين أبو العباس أحمد بن عَقبة الحَضرمي اليَمني الشَّاذلي الوَفائي قُدِّس سِرُّهُ العالي.

مولدهُ ﷺ ببلاد حضرموت وقدم مصر فاستوطنها وأخذ الطريقة وتلقَّى أنوار الحقيقة عن شيخه ومربيه سيّدي ومولاي الشَّريف أبو السِّيادات يحيى القادري بن وفا ابن سيّدي شهاب الدين أحمد بن وفا بن القُطب الكبير سيّدي أبي التداني مُحمَّد وفا ﷺ.

وبعد أخذ سيّدي أبو العباس ﷺ الطريقة على شيخه المذكور فتح عليه، فأقبلت الناس إليه وتبرَّكوا بالجلوس بين يديه وكثُرت أتباعهُ وعمَّ انتفاعهُ, وكان يحضر مجالس العلماء وتحضر العلماء مجلسهُ حتى صار أوحد زَمانهِ عِلمًا وعملًا وحالًا ومقالًا.

وذكر الشَّيخ زروق فيما وجدته بخطه في برنامج أشياخه أنه سأله عن خرقته فقال " نحن لا نعرف شيئاً من هذا ولكن طريقٌ أُمي وسلفها تنتهي إلى الشَّيخ أبي مدين المغربي، وذكر أيضاً أنَّ الولاية في سلفه اكثر من مائتي سنة, قال وفيهم أقطاب على ما أخبرني به من أثق بقوله وأنه ولي بن ولي بن ولي الى ما فوق الخامس، قال وبيتهُ مشهورٌ بأرض اليمن بالولاية لا من قبل أبيه ولا من قبل أمه يحدث عن أبيه وعمه بالعجائب والكرامات والمعارف "

وفاتهُ

توفى مولانا أبو العباس الحضرمي ﷺ " 895هـ " ودُفن بالقرافة الشاذلية الكبرى, اللَّهُمَّ أَمِدَّنا وأحبَّتنا بمددهِ وانفعنا بهِ وبأسرارهِ آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمة

يقول العبد المُعترف بذنبه الراجي بكلِّ حالٍ عفوَ ربه أحمد بن أحمد بن مُحمَّد بن عيسى البرنسي ثم الفاسي عُرف بزروق أصلح الله حاله وبلغ فيما لديه آماله.

الحمدُ لله حمدَ معترفٍ بتقصيره مُستعينٌ بالله تعالى في كلِّ أموره مُستغفرٌ من صغير الذنبِ وكبيره معتذرٌ عن عظيم عيبه وحقيره راغِبٌ من فضله تعالى وجود تيسيره.

والصَّلاة على سيِّدنا مُحمَّدٍ المؤيد في تدبيره الذي أوجبَ على العِباد وجود توقيره وعلى آله وأصحابه القائمين بتعزيزه وتعزيزه والسلام التَّام عليه وعليهم كذلك والحمد لله على ذلك.

أمَّا قبل كل شيءٍ ومعه وبعده فليس على الحقيقة إلَّا الله وحده إذ كلَّ شيءٍ منه بدأ وإليه يعود وهو الواحد الحق الملك الودود يفتحُ على مَن يشاء بما شاء كيف شاء ويمنع مَن شاء ما شاء متى شاء لا يتوقف فِعلُه على عِلَّةٍ وزمانٍ ولا يتقيد فضله بعينٍ ولا مكان، وإنَّ من فتحه العظيم وإحسانه الكامل الجسيم وجود الإيمان بفتحه لبعض عباده وفَهِم البعض مما فتح عليهم من كريم إمداده لاسيما في هذه الاعصار التي دُرست فيها الحقائق وعُميَ عن الرُشدِ والتحقيق أكثر الخلائق فجعلوا معتمدهم الدِرهم والدينار وأغفلوا ما هم صائرون إليه من جَنَّةٍ ونارٍ وكانوا كما وصفهم بعض الشُعراء وأحسن.

مَرضى عن الخيرات في بحر الرَّدى غَرقَـــي فـــلا داعٍ لِـــنَهجٍ أقــومِ
شُـــغِفُوا بكـــلِّ رذيلـــةٍ مذمومــــةٍ صــرفت وُجــوههمُ لوجــه الــدَرهمِ
نــاموا عــن المقصــودِ لــم يســتيقُظوا ســتكون يقظــتُهُم لخطــبٍ أعظــمِ

فنسأل الله السلامة مما نحن فيه من الغفلة ونضرعُ إليه أن يوفقنا لما يُحبه ويرضاه في أيام المهلة فإنه وليُ ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل، ثم المقصود بعد هذا الافتتاح والمُراد هذا السِراج والمصباح إظهار بعض ما فتح الله من المعنى الجلي والغائب المُتعلق بكتاب صدور المراتب ونيل المراغب لسيِّدنا ومولانا وسندنا وأُستاذنا ووسيلتنا إلى ربنا بعد نبينا ﷺ الشَّيخ الوليُّ العارف ذي المقامات العلية والمواقف الذي لم نرَ له في الوقت عديل ولا سمعنا له في الزمان بمثيل سيِّدي أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن مُحمَّد بن عمر بن أحمد بن عقبة اليمني الحضرمي ختم الله لنا وله بأكمل السعادة وتولاه بالحُسنى والزيادة وأعاد علينا من بركاته في الدارين وإنا لنا من همته العلية ما له فيه قرة العين.

أذكرُ في ذلك ما انتهى إليه فهمي بهمته وآتي فيه بما أقدر عليه من معاني إشارته وإن كان هو البحر الزاخر الذي لا ينزف فقد يأخذ من البحر كلٌّ على مقداره، إما بأن يشرب أو يَرشف وكم من واقفٍ في الماءِ عطشانٍ وممنوعٍ منه بوهمه السرابية وهو لهفان لكن على قدر النصيب تُصيب، ورُبَّ مُنكِرٌ بالخطاء وغيره مُصيب كما أشار إليه القائل وهو من القول الحسن العجيب.

وكــم مــن عائـــبٍ قــولاً صــحيحاً وآفتــــه مــــن الفهــــم الســــقيم
وإنمــا تأخــــذُ الأذهـــان منـــه علــــى قــــدر القــــرائح والفهــــومُ

فـالمُنكرُ لمَّـا لا يفهمـه معـذورٌ بجهلـه والمتعصبُ مأثومٌ بادعاً ما ليس من أهله

ويرحم الله الفقيه أبا عبدالله مُحمَّد بن يحيى المُقري التلمساني[1] قاضي الجماعة حيث قال.

الاعتقـــادُ ولايـــة والاعتـــراضُ جنايـــة
فـــإن عرفـــتَ فـــاتَّبع وإن جهلـــتَ فَسَـــلِّم

ومن هذا المعنى قول مالك رحمه الله في مسألة خليج الاسكندرية في العتبية.

" عليك بالذي لا تَشُكُّ فيه * ودع الناس ولعلهم في سعة ".

وفي الخبر.

" **إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلَّا العلماء بالله فإذا ذكروه أنكره أهل الغرة بالله** "[2].

ولله در زين العابدين علي بن الحسين بن على بن أبي طالب ﷺ حيث يقول.

يـا ربِ جـوهرةُ عِلـمٍ لـو أبـوحُ بـه لقيـلَ لـي أنـت ممَّـن يعبـدُ الوثنـا
ولاسـتحل رجـالٌ مسـلمونَ دمـي يَـرَونَ أقـبحَ مـا يأتونَـهُ حَسَـنا

[1] . مُحَّد بن يحي أبو عبدالله الشهير بابن النجار التلمساني من كبار تلمسان في عصره سماه ابن خلدون شيخ التعاليم توفي في تونس عام 748 هـ

[2] . عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ " إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلَّا العلماء بالله عزَّ وجلَّ فإذا نطقوا به لا ينكر إلَّا أهل الغرة بالله ﷻ " رواه أبو عبد الرحمن مُحَّد بن الحسين السلمي في الاربعين

هذا مع أنَّ حفظ ظاهر الشريعة واجبٌ والتنبيه على محل الاشكال والايهام أمرٌ لازب لكن ينبغي أن يكون ذلك بأدبٍ وإنصافٍ وحفظ حُرمةٍ المؤمن من غير انحراف، فَلئِن كانت حرمة العلم لا تهمل فحرمة القائم به لا تطرح ولا تغفل ويطلب كلَّ علمٍ من أهله ويرجع بكلِّ شيءٍ لأصله ومحله والمؤمن يلتمس المعاذير والمُنافق يتبع العيوب.

" **والله في عون العبد ما دام العبدُ في عونِ أخيه** "[1]

والسلام ثم أقول بالله المُستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

***

[1]. قَالَ الاعْمَشُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ " مسند أحمد

قال ﷺ.

" **الحمد لله المستحق لجميع المحامد كلها** ".

قلتُ الحمدُ هو الثناء الجميل سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل، والله اسم لذات المعبود الحق الغني عن العلة والفاعل الموصوف بصفات الالوهية، واللام فيه هنا للمُلك والاستحقاق فلا يستحق الحمد غيره لأنَّ جميع صفات الحمد له إذ لا كمال لغيره إلَّا بتكميله فمنه بدأ الحمد وإليه يعود كما جاء في الحديث.

" **لا يصحُ أن يَحمِده حق الحمدِ سواه** ".

لأن الثناء تابع للمعرفة ولا يعرف الله إلَّا الله فلا يثني عليه حقَ الثناء سواه كما قال صلوات الله وسلامه عليه.

" **لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك** "[1].

قال الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

" بل أنت أجلٌّ من أن يُثنى عليك ".

قلت وهذا منه إظهار للمعنى المقصود لا زيادة على اللفظ الوارد، وقال سيِّدي أبو عبدالله الهزميري ﷺ.

" لا يحصي النبيُّون والصدِّقون ثناءاً عليك ".

قلت وهذا إشعار بعظمة المقام إذ أضاف الأمر فيه لأعظم الخلق في العلم به والقدرة عليه فكان غيرهم أحرى في العجز عنه وبالله التوفيق.

---

1. عن عائشة ﷺ قالت فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ برضاكَ منْ سخطِكَ وبمعافَاتِكَ منْ عقوبَتِكَ، وأعوذُ بِكَ منكَ لَا أُحصي ثناءً عليكَ أَنتَ كمَا أثنيتَ عَلَى نَفْسِكَ " رواه مسلم

وقال ﷺ.

" **البديع الذي لم يُشاركه شيءٌ في خلقها** ".

قلت البديع بمعنى المُبدع وهو المُخترع للأشياء على غير مثالٍ سبق ولمَّا كانت المُبدعات مضمنةٌ في الاسم البديع أشار إليها بالضمير وذكر الخلق اكتفاء بالتضمين المشعور به عند ذوي البصائر وتنبيهاً على أنَّ النسبةَ الاسميةَ هي التي يشق منها لأنها مشتقة من شيءٍ إذ قد قيل

" من شرط المُشتق أن يكون مسبوقاً بالمُشتق منه ".

وأسماؤه تعالى قديمةٌ فلا يصحُ أن تكون مُشتقةٌ من شيءٍ بل الأشياء مشتقة منها لقوله تعالى فيما يرويه نبيه ﷺ.

" **هي الرحم وأنا الرحمن اشتققتُ لها اسماً من اسمي** ".

وأشار إلى ذلك حسَّان ﷺ بقوله.

وشــقَّ لــه مــن اســمه لِيُجِلَّــه   فـذو العـرشِ محمـودٌ وهـذا مُحمّـد

قال الشَّيخ أبو العباس بن البنا ﷺ.

" وإنما يُقال في مثل اسمه السلام فيه معنىً من السلامة ".

فافهم هذا والذي قالوه صحيح إلَّا إنَّ ما وقع للأئمة من ذكر الاشتقاق في الاسماء مقصود لمَّا ذكرناه عن ابن البنا وغيره وأطلقوا عليه الاشتقاق مجازاً لتقريب الفهم والله أعلم.

وقد يُقال ضمير خلقها عائد للمحامد على معنى إنها نفسُ الحمد لا ما يقع به من الأوصاف فيرد بأنَّ ما ذكره يتضمن حمده تعالى لنفسه وهو قديم إلَّا أن تكون " ال " في الحمد للإنشاء فيكون ما بعد ذلك تابعٌ له وهذا كله بعيد.

وقد يُقال ظاهر السياق رجوع الضمير للمحامد فينفصلُ عنه بما ذكرناه وإنَّ الأول أمسُّ بمعناه وعند احتمال وجهٍ صحيح لا يبعُد فهمه من ظاهر الكلام بأول وهلة فلا اعتراض إذ لو ضيَّق على الناس في مثل هذا ما صح كلامُ إمامٍ، فضلاً عمَّن سواه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **القائم به كل شيءٍ من خلقه** ".

قلت أي الذي لا قيام لشيءٍ دونه لافتقار كل الخلق إليه في كلِّ حالٍ كما أشار إليه الشَّيخ أبو مدين ﷺ إذ قال.

" الحقُ تعالى مستبدٌ والوجود مستمد والمادة من عين الجود فلو انقطعت المادة لانهدم الوجود " انتهى.

وهو عجيب، وقد جمع الشَّيخ ﷺ فيما ذكر معاني قوله تعالى.

﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[1].

في الفقرة الاولى من معاني الجلالة والأُلوهية التي هي استحقاق الكمالات كلها وبذكر البديع ما تضمن قوله الحي لأنَّ كلَّ شيءٍ دونه لا حياة له في وجوده فضلاً عن موجوده وظهور ذلك في بديع صُنعه دون شريك ولا خيرةً بَيّنَةً وبالله التوفيق.

[1] . البقرة 255

ثم قال ﷺ.

" **الرحمن الرحيم الذي بدأ خلقه** "

قلت الرحمن فعلان من الرحمة، والرحيم أبلغ منه في الصيغة وهما وصفان أحدهما يقتضي الايجاد، والثاني يقتضي الامداد ولذلك اختص الثاني بالمؤمنين.

﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾[1].

بيان ذلك أنَّ امداد الكافر زيادةٌ في عذابه، وعذابه زيادة في رحمة المؤمن بالتِذَاذِهِ بما هو فيه من النعيم، وقد أشار الكتاب العزيز لذلك بقوله تعالى.

﴿ **إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا** ﴾[2].

وقال تعالى.

﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[3].

والايجاد لا يترتب على وجود عقاب ولا ثواب وإن كان سبباً في سببهما فهو رحمة في العموم إذ قال تعالى.

﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾[4].

قيل للرحمة، وقيل للاختلاف، وقيل لهما وهو التحقيق إلَّا إنَّ الاختلاف عين الرحمة، كما ورد في الخبر.

" **اختلاف أُمتي رحمة** "[5].

---

[1] . الاحزاب 43

[2] . آل عمران 178

[3] . المؤمنون 55 ، 56

[4] . هود 118 ، 119

[5] . رواه الديلمي في " مسند الفردوس " من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ " اختلاف أصحابي رحمة "

قال الامام أبو حامد في الميزان يعني اختلافِ هممهم وذُكر ذلك في وجوهاً فانظره.

ثم قال ﷺ.

" الفاطر العليم القادر ".

قلت الفاطر الذي فطر الخلق أي ابتداء وجودهم من غير شيء، والعليم من قام به العلم، والقادر الموصوف بالقُدرة وهذه الاوصاف هي التي شهد بها وجود الخلائق فأحداثُها بعد العدم دليلٌ أنه الفاطر وابرازها على أتم الوجوه دليلٌ أنه العالم والقادر والمريد، وإنما سكت عن هذا الوصف لتضمن العلم متعلق الإرادة في التخصيص من حيث الاتقان ومتعلقها بالإبراز من حيث الوقت والعين فدل عليها الفاطر والقادر، وهذا مُضمن في قوله تعالى.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ ﴾[1].

بعد قوله.

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[2].

فهذه المظاهر برهانها من وجود رحمانيته الواضح من قوله تعالى.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾[3].

فانظر تفسير آية الكُرسي في المطولات تجد بعض ما أشرنا إليه نعم، وما ذكره الشَّيخ مبني على سلوك العارف والمجذوب إذ بدأ بعظمةِ الذات ثم تدلى للعلم

---

1 . البقرة 255

2 . البقرة 255

3 . فاطر 41

بالصفات ثم عاد لبساط الأسماء ثم انتقل لوجود الآثار ثم عاد لأحكام الحقائق والنسب.

فقال ﷺ.

" **الذي لم يعرف قدره غيره ولم يتجاوز حده سواه** ".

قلت أما قوله لم يعرف قدره غيره فهو كما قال الجنيد رحمه الله.

" لا يعرف الله إلَّا الله ".

ونقلت هذه اللفظة عن سفيان الثوري رحمه الله.

" والمحققون على جواز هذا الاطلاق لا على إطلاقِ عارف في وصفه تعالى إلَّا عند مَن يقول بالاشتقاق في الأسماء ويرى أنَّ المعرفة مرادفة للعلم وهو مرجوح".

وكان بعض المشايخ يقول.

" لا يعرف الله إلَّا الله ولا يعرف النبي إلَّا مَن نبأه ".

وفي معنى ذلك قيل.

" لا يعرف الله إلَّا الله فاتَّئِدوا[1] أنَّ العقول لها حدٌ وإدراك ".

انْفِ النقائص عنه بالكمال له.

" والعجزُ عن درك الادارك إدراك ".

وأما قوله ولم يتجاوز حده سواه فمعناه أنَّ كل مَن سواه لا يتجاوز بقصده نفع وجوده ولا يتعدى بتصرفه إلى غير موجوده والحق تعالى غنيٌ بذاته وهو المتصرف بالتصرف التام المطلق الذي لا يلحقه قيد، ومَن سواه لا يصح له تصرف إلَّا بتصرفه إياه كما قال تعالى.

1 تؤد أي تأَني أو رزانة

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[1].

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[2].

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾[3].

فكل الخلائق محدودون أي ممنوعون عن التصرف إلَّا بتصريفه وهو تعالى متصرف بلا حِجرِ ولا منع إذ الكُلُّ منه وإليه وكلَّ الخلائق إنما تصدر أفعالهم لعلة تعود إليهم وهو تعالى غنيّ عن ذلك الوصف الغني قال في الحِكم في مناجاته.

" إلهي تقدَّس رضاك عن أن تكون له عِلَّة منك، فكيف تكون له عِلَّةٍ مني، أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني ".

قال الله تعالى

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴾[4].

وقال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[5].

وقال عزَّ من قائل.

﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾[6]

---

1 . البقرة 255
2 . الانبياء 28
3 . طه 109
4 . الأنعام 133
5 . فاطر 15 ، 16
6 . مُحمَّد 38

فافهم الاشارة من العبارة ولا تقف مع ظاهر التركيب فإنه حجاب عمَّا وراءه ولا تتحرج بضيق العبارة فإنَّ كلامه خاصٌّ في خاصٍ لخاصٍ وإذا فهِمت المعاني فلا عبرة بالألفاظ وإن كان اعتبارها مطلوب فللتأويل وجهٌ في الواقع وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **الذي قدَّر فهدى خلق الزوجين الذكر والانثى** ".

قلت ما شاء من سعادةٍ وشقاوةٍ، وكيّسٍ وغباوة، وخيرٍ وشرٍ، ونفعٍ وضُرٍ فهدى كُلاً لِمَا قُدِّر له حتى عَمِل بسببه فرَتَّبَ عليه حُكمه لحكمته، أسعد مَن شاء لا بوسيلةٍ سبقت وأبعد مَن شاء لا بجريمةٍ تقدَّمت.

﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[1].

وقال ﷺ.

" **اعملوا وكلٌ مُيسرٌ لِما خُلق له** "[2]

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه.

" **أنا الله لا إله إلَّا أنا خلقتُ الخير والشر وجعلت لكل منهما أهلاً فطوبي لمَن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويلٌ لمَن خلقته للشرِ وأجريت الشَرَّ على يديه** "[3].

---

1. الانبياء 23 .

2. قال الامام على بن أبي طالب ﷺ " كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكث في الارض فقال " ما منكم من أحد إلَّا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله أفلا نتكلُ على كتابنا وندع العمل ؟ قال اعملوا فكلٌ مُيسر لما خلق له إما مَن كان من أهل السعادة فيسير لعمل أهل السعادة وأما مَن كان من أهل الشقاء فيسير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى " صحيح البخاري

3. نسبه العراقي في تخريجه للإحياء ج 4 ص335.

وأتى لذكر الخلق ليُنبه على برهان ما ذكر من الهِداية وإنها مقدورةٌ كمقابلها إذ موجد المركب موجد أجزائه وأحكامه وإلَّا فليس له وبشعر بما في ذلك من سِرّ الازدواج المبعوث في العالم وتضمَّن التقدير والهداية ما يكون من وجود الشفاعة فافهم ذلك.

ثم قال ﷺ.

" **العالم بالابتداء والانتهاء قبل وقوع الانتهاء والابتداء** "

قلتُ فيما يصِحُ فيه الابتداء والانتهاء مع علمه بما لا ابتداء له ولا انتهاء من حيث إنه لا ابتداء له ولا انتهاء مع جملة الأحكام الواقعة في الحادث والثابتة للقديم إذ عَلِمَ ويعلم لأنَّه عَالِم لا أنَّه عَالِم لأنَّه عَلِم ويَعلم.

﴿ **إِلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[1].

﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَلَا يَئُودُهُ** ﴾[2].

أي لا يثقل عليه حفظهما وكيف يثقل عليه وهو الموجِدُ لهما وهو العلي الذي تحيَّر الكُلُ فيه من حيث المعرفة به والوصول إليه فلم يعرفوه إلَّا من حيث الاثبات والتنزيه ولم يَصِلوا إليه إلَّا من حيث التحقق والعجز قال الصديق ﷺ.

" سبحان مَن لم يجعل إلى الخلق سبيلاً إلى معرفته إلَّا بالعجز عن معرفته ".

وقال بعض العارفين.

" عين الحدث لا تنفتح لشُعاع شمس الازل ".

1 . تبارك 14

2 . البقرة 255

وقال الإمام أبو المعالي ﷺ عند موته.

" لقد خلِيتُ أهل الاسلام وعلومهم وخضتُ البحر الأعظم طلباً للخروج من التقليد فما وقفت إلَّا على الحيرة والعجز ".

وها أنا ذا رجعتُ إلى المقصود من كلمة الاخلاص ومما في هذا المعنى في أبيات على لسان حال البوحة.

أحببــــت مــــولاً إذا تجلـــــى أقتـــبسَ البـــدرُ مـــن ســـناهْ

تحيَّـــر النـــاسُ فيـــه طُـــرَّاً وجملـــةُ الخلـــقِ فيـــه تـــاهوُا

ولا أُ ســــمِّيه غيـــــر إنـــــي إن غلـــبَ الوجـــدُ قلـــتَ يـــاهُ

ثم هذه الحيرة إذا استحكمت صارت تعظيماً لأنها من حيث الجلال بعد الاثبات والتنزيه، وإذا تمكنت صارت طمأنينة من حيث أنها بساط الاجلال والتعظيم ولذلك قال الشبلي رحمه الله.

" يا دليل الحائرين زدني فيك تحيُرا ".

فأما حيرة أهل الضلال فهي لظهور العزة والقهر والاختصاص فافهم.

ثم قال ﷺ.

" ولم يُعرف ما هو وما فيه ".

قلت يعني أنَّه لا يعرف بالماهية إذ هي موقوفةٌ على الجنسية ولا يعُرف ما فيه من الصفات لنفي الكيفية لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يُحيطُ بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته، وبالجملة فتحيُّر الكُلِ فيه مستفادٌ من بساط اسمه العلي وعجز الكل عن العلم به على حقيقة ما هو عليه من بساط اسمه العظيم، إذ العليّ في الرفعةِ والمزيةِ والمكانةِ على الاطلاق لا

يُدرك، والعظيم الذي يصغر عند ذكر وصفه كلَّ شيْ سواه لا يناله كيف فافهم تمام الترتيب على الآية وهي أيضاً مُرَتَّبة على سورة الأعلى ومعاني الفاتحة بوجهٍ يطول ذكره وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله الداعي إلى الصراط المُستقيم** ".

قلت يعني الذي لا اعوجاج فيه ومداره على اتباع السُنَّة وشهود المِنَّة للحق سبحانه إذ الملة مبنية على الاكتفاء بالله في توجه الباطن والاكتفاء برسوله ﷺ في معاملة الظاهر فمن الناس مَن جعل باطنه أصلاً لظاهره وهم المريدين والعارفون إذ دخلوا بساط الاعمال من حيث طلب رضى مولاهم وتعلقهم به، ومن الناس مَن جعل ظاهره أصلاً لباطنه وهم العُبَّاد والزُهَّاد إذ لم يعاملوا ببواطنهم إلَّا لتصحيح أعمالهم، ومن الناس مَن أعطى كلاً حقه وهم أهلُ الكمال ولكل فصلٍ من هذه الاقسام شرحٌ ودليلٌ ومبنى ومعنى يطول وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **الذي جعله رحمةً للعِباد يوم المِعاد** ".

قلت هو ﷺ رحمةً في الدُّنيا والآخرة ولكن ظهور عموم الرحمة به إنما يكون في الدار الآخرة من حيث الشفاعةُ الكُبرى وهذا نحو قوله تعالى.

﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ** ﴾[1]

---

[1] . الفرقان 26

مع أنَّ المُلكُ له اليوم إلَّا أنه أضافة لذلك اليوم من حيث الظهور بلا منازع في صورته وقد قال الشَّيخ أبو العباس ﷺ.

" الانبياء عليهم السلام خُلِقوا من الرحمة ونبيا ﷺ هو عين الرحمة ".

قال الله تعالى.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقد أشار الشَّيخ ﷺ لِمَا ذكرنا من أمر الشفاعة.

فقال ﷺ.

" **وفضله على جميع خلقه من الأنبياء والأولياء وجعله سيّد العِباد** ".

قلت ذكر أولاً جميع خلقه فكفى ثم أتى بالتفضيل ليؤكد ظهور التفضيل، ثم ذكره بالسُّؤدد الذي هو الشرف الكامل إشارةً لحديث.

" **أنا سيّد ولدِ آدم ولا فخر** "[2].

قال بعض المشايخ.

" افتخر بالعبودية لا بالسيادة ".

قال ابنُ عبَّاد رحمه الله.

" أراد ﷺ ولا فخر أصلاً ".

أي إنما قلت ذلك ائتماراً لا افتخاراً وقد يُفهم أنَّ السؤدد وصفه وجودي في ذاته يتصور معناه من حيث هو في الذهن فيكون زائداً على الفضيلة لأنها بحكم من الله دون اسناد إلى سببٍ إذ المزية لا تقتضي التفضيل فتأمل ذلك.

---

[1] . الانبياء 107

[2] . أخرجه التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه من حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ

ثم قال ﷺ.

" وببركته أخرج عباده من ظلمة الشرك والضلال ".

قلت أخرجهم لذلك بتبيين الحق وإظهاره فكان حُجَّةً على مَن جحدَ ومحجةً لمَن وحَّدَ وهو أنَّ الموحِّد المُخرَج من الشرك والضلال حقيقةً، قال تعالى.

﴿ يَا أَهلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقال تعالى.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الامُورُ ﴾[2].

وقال ذلك الصحابي ﷺ في وصفه عليه السلام في التوراة.

" يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً وحرزاً في الأُميين أنت عبدي ورسولي سميتُك المُتوكل ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يُميته الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلَّا الله فيفتح به أعيُناً عُمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً ﷺ ".

ثم قال ﷺ.

" إلى النور اللامع المضيء بالغُدوِ والآصال ".

---

1 . المائدة 15 ، 16

2 . الشورى 51 ، 52

قلت النور اللامع هو شواهد المعرفة في الوجود وما جاء به من أسباب المعرفة والشهود واضافةً لمعانيها للغدو والاصال، إما اكتفاءً بالطرفين عن الوسط لتضمنها له أو لأنَّ شواهد التوحيد في هذين الوقتين واضحة بوجود التغير الظاهر لكل أحد، وأسباب التوجه في ذلك الوقت مقرونة بالحضور لاستجماع القوى ولذلك ورد فضلها في الذكر والفكر ونحوه وأُشير للاستعانة بها في حديث.

" **واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** "[1].

والله أعلم تتميم من قوله وأشهد أن لا إله إلّا الله، إلى هنا مضمن بقوله تعالى.

﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾[2].

فتأمل ذلك تجده وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **فلله الحمد دائماً على ذلك** ".

قلت يعني على جميع ما ذُكر من الشهادة وكرامة الخلق برسوله وكرامته هو في نفسه وما جرى على يديه من هداية الخلق إذ لا تحقق لذلك كله إلّا بفضل الله ورحمته.

---

1. عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ " إنَّ هذا الدّين يسرٌ ولن يُشادَّ أحدٌ إلّا غلبه فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا ويسّروا واستعينوا بالغُدوة والرواحة وشيءٍ من الدُّلجةِ " صحيح النسائي

2. البقرة 255

ثم قال ﷺ.

" **حمداً كاملاً شاملاً جامعاً موفقاً كما ينبغي** ".

قلت كاملاً في معناه شاملاً بأنواع المحامد جامعاً لحقائق الحمد موفقاً مصحوباً بالتوفيق حتى لا يعرضَ لصاحبه خذلانٌ معه بعُجبٍ ولا غيره كما ينبغي أن يَصلح لمعاملته تعالى.

ثم قال ﷺ.

" **سالماً من جميع النقص في ذاته** ".

قلت بحيث يكونُ مطلقاً لا مقيداً، وتام المعاني لا ناقصها، وهذا كله يؤيد أنَّ قصده بهذا الحمد الانشاءُ مع الاشارةِ للاستغراق بحكم اللحظ والاعتراف بكمال الوصف والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **حمداً لا محصيه غيره، ولا محيطاً به فكرُ متفكر، ولا ذكرُ متذكر** "

قلتُ الاحصاء يرجع لتعداده وإحاطة الفكر لمعانيه، والذكر يرجع لاستعماله وهذا معنى قوله كاملاً شاملاً جامعاً فلا يضبطه عدٌّ ولا يحصره حدٌّ ولا يحويه قصدٌ. وهذا أمرٌ لا يوصلُ إليه إلَّا بالقصد والرغبة إلى الله في جعله كذلك وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **قد ارتفع حجابه عن حضرة الحظوظ والعوارض** ".

قلت حجاب الحمد صورته التي يبرز بها عن الفاعل له لأنه يلحظ معناهُ من وراء ذلك ولو كان نفس ما ظهر منه عين معناه لَمَا صح وجوده لاتساعه وتعلُّقه بمعان لا تُعبِّر عنها الألسُن إلَّا بحجاب ينظر لها من خلقه فتعرف وجودها البصائرُ والسرائرُ والعقول على قدر مراتبها في الفهم عن الفاعل ويكون هو في ذلك على حسب ما بدأ له من الأمر المترجم عنه بالحمد من الاجلال والتعظيم، وهذا الحجاب أعني صورة الحمد هو الذي تعرض له الحظوظ فيكون لأجلِ سابقها مقابلة وهو معلولٌ بمقاومة الربوبية في إحسانها إليك أو لأجلِ لاحقها طلباً للزيادة وهو معلولٌ بعوارض الاعواض مع ما يلحق ذلك من الرياء والعُجُب ونحوه فتبرأ الشَّيخ ﷺ من النقص في معناه.

ومن الحظوظ والعوارض في صورته الظاهرة وقصد أن يكون على أتم الوجوه في عدده ومعناه ومقصده ومبناه مع ارتباطه في وجوده بشمس المعرفة والحقيقة التي لا ارتفاع لها دون معارض وهذا ما نبه عليه.

فقال ﷺ.

" **قد بزغت على وجوده الموجود شمس الحق بلا معارض** ".

قلت بزغت طلعت وظهرت وضمير وجوده عائدٌ للحمد الموجود من الفاعل ظاهره وباطنه، وشمس الحق ما يبدوا من عظمته وجلاله وكبريائه الذي لا يتم حمد الحامدين إلَّا بطلوعه في أفقِ قلوبهم إذ بفنيهم عن كلِّ شيء سواه فلا يشهدون إلَّا إياه ولا يكونون إلَّا به وله، وقد كان الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ كثيراً ما يتمثل بقوله.

لـو عاينـتْ عَينـاك يـوم تزلزلـت أرضُ النفـوس ودَّكـت الاجبـال
لرأيـتُ شـمسَ الحـق يسـطع نورهـا يــوم التزلــزلِ والرجــالُ رجــالُ

وقوله بلا معارض يعني بلا معارض من سُحِب الأوهام وعوارض العلوم والأفهام الصارفة عن الاستنارة بها إذ قد يأتي الضلال من وجه العلم والفهم

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾[1].

اللهم إنا نعوذ بك أن نضِلَ في هداك، وهذا المعارض عند تحقيقه هو الوهم الداعي إلى التقيُّد بمعقول الشاهد الموجب لكل ضلال في بساط المعقول فقد قيل بذلك على ما ثبت بالدلائل العقلية والبراهين القطعية التي لا يمكن العُقلاء دفعها ولا النبلاء رفعها ولا يتطرق الشك والريب إليها كالفعل الموجود بفعل الفاعل والصنعة الموجودة بصنع الصانع انتهى.

وبالجملة فشمسُ الحقيقة لها مُعارِض هي الأوهام العدمية المقتضيَ للتعلقِ بالصور الخيالية وقد جعلها الحق سبحانه محل ابتلاء لعباده في الجملة فأهل البصائر لا تعريج لهم عليها إذ طلعت في أُفقِ قلوبهم شمسُ الحقيقة فنفت كلَّ ظلمةٍ وأزالت كلَّ غمةٍ إما قبل توجهها وهو حالُ أهل الحفظ والعصمة أو بعد توجهها وهو حال مَن تداركه الله بالرحمة.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[2].

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3].

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

---

1. الجاثية 23
2. الحِجر 42
3. المؤمنون 91

فإذاً الابتلاء بمُعارض شمسُ الحقِ معروض لكلِّ أحدٍ غير أنَّ من عصمة الله لم يصل إليه البلاء ومَن لا فلا، وأحق الناس بالعصمة من ذلك أنبياء الله سبحانه ولكنهم لم يهملوا حكمة الحق تعالى في نفي المُعارض فكان نظرهم فيه لظهور مزيتهم في مراتب اليقين وليكون لِحِسهم من العيان لحقائقهم في مراتب التمكين وليقوموا بحق الحكمة في ترتيب العبودية بإظهار الافتقار وإن كان وجهه الكريم قد أغناهم بشهوده عن كلِّ مشهود فلم تطرقهم الاغيار ولا نزلت بساحتهم الأكدار، وقد أبان ذلك ما وقع في قصة إبراهيم صلواته وسلامه عليه مع الأنوار الثلاثة التي آخرها الشمس وهي محط ركاب النظر في كلها فلذلك اختصر الشَّيخ على ذكرها دون غيرها.

فقال ﷺ.

قال الله تعالى

﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا** ﴾[2]

وقال تعالى

﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** ﴾[3].

قلت أشار ﷺ بمجموع الآيتين لأنَّ الشمس إنما وقع وجودها في كلِّ النظر لوجود الابتلاء وخصها بالذكر لأنَّ الابتلاء بها أعظم إذ هي أكبرُ عارِض للوهم في مقابل الحقيقة ولذلك قال فيها

﴿ **هَذَا أَكْبَرُ** ﴾[1].

---

1 . الحجر 40

2 . الانعام 78

3 . مُحمَّد

فنفْيُ ربوبيتها المقصود بقوله

﴿ هَذَا رَبِّي ﴾[2].

يلزم منه نفي كلَّ ما دونها لاستحالة جلالة الأدنى مع بُطلان جلالة الأعلى، ثم قول إبراهيم ﷺ مصحوبٌ بنفي الربوبية عنها من أول بوجوده وإنما قال ذلك على سبيل التسليم الجَدَلي المؤكد لوجود النفي بتالي البرهان المُصرَّح به بعد قوله

﴿ لَا أُحِبُّ الافِلِينَ ﴾[3].

ثم قوله

﴿ لَا أُحِبُّ الافِلِينَ ﴾

دليل أنَّ عقده متعلق بموجود لا يأفل إلَّا قول نعم ولا يصح أن يقبل غيره، وبرهان وجوده عنده في شهوده له غير أنَّ الحس جازمٌ بذلك من حيث إلزام العقل له فهو تابعٌ له في حُكمه وكمال الحسّ في أن يكون علمه عن مشاهدته لا عن إلزامه فتجرية هذا البرهان ليحظى حسه من المعرفة بما حظى به باطنه على بساط البرهان العيني لا على بساط النظر العقلي وإن كان الكلُّ راجعٌ إليه فليس الخبر كالعِيان وإن كان في غاية التحقيق والبيان فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **فالخليل ﷺ ابتلاه الله بالشمس وبقوله**

﴿ هَذَا رَبِّي ﴾[4] "

---

[1] . الانعام 78

[2] . الانعام 78

[3] . الانعام 76

[4] . الانعام 78

قلت ابتلاه بالشمس يعني جعلها محلاً للابتلاء أي الاختبار في حقه كما هي في حقِ غيره لكن لتظهر مزيته في حقيقة توحيده فنفيها مع وجودها وجحودها في عين مشاهدتها من غير تعريج عليها أولاً ولا آخراً إذ قال

﴿ **لَا أُحِبُّ الافِلِينَ** ﴾.

فدلَّ على أنه عرف مَن لا يأفل فلا يقبل غيره واقتصر على برهان الأقوالِ لوجود المُقابلة وإلَّا فوجود التحديد كافٍ على النفي وهذا الابتلاء من طريق التعريف بوجود الحُكم المبثوث والابتلاء في قوله

﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾[1]

من حيث الوجود إذ لو لم يقل ذلك صح له ما يُريد من كمال البرهان إذ لا حُجةَ إلَّا بعد فرض ما يحتج على نفيه بطريق التسليم الجدلي واضافة الربوبية للغير مع الحق سبحانه من الباطل سواء كانت بالصورة أو بالحقيقة إلَّا إنها معتبرة بمقصودها، فلذلك سقط الحَرج عن ذاكرها للبرهان غير أنها مع ذلك مُستعظمةٌ عند ذوي الجمع والتحقيق لكن يأتون بها لِمَا هو أعظم فهي من وجوه الابتلاء، إذ لو تركها لم يصل إلى مقصوده من البرهان وإن صرَّح بها كانت عظيمة عليه في نفسه بذكرها مع وجود نفيها فافهم وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **بهذه الرؤية** ".

قلت أشار إلى أنَّ الابتلاء إنما وقع بهذه الرؤية الحسية لا الحقيقية إذ حقيقة المعصوم لا يعتريها شكٌ ولا وهمٌ، وشواهد الحسِّ لا تقدح في الحقائق ونفيها

---

[1] . الانعام 78

بالبرهان اللائق بها من باب الاولى لتحصيل الأكمل الذي يعرض له نقص لا لتحصيل الأوجب الذي يطلب لنفي النقص إذ لا وجود له حتى ينفي فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وإنما ابتلاه بهذه الرؤية له لتظهر مزيته في انتفاء المعارض** ".

قلت هذه زيادة بزيادتها بإذنه وعرضت عليه فقبلها وفيها تبرئة فما يتوهم من ظاهر الكلام، وفي ظهور مزيته ثلاث فوائد.

أحدها ليكون محجَّةً لمَن يأتي بعده في نفي المعارض سواء كان ممَّن يقبله أو مَن لا يقبله.

الثاني ليكون حُجَّةً على مَن تعلق بالأوهام واغتر بالشاهد في بساط البرهان والتحقق وإن كان من أهل العَيان فضلاً عمَّن سواه.

الثالث ليتم الأمر في انقطاع حُجَّةَ الكافر في تعلله بالتخصيص الأصلي وأنه لو كان يعرض له ما يعرض لغيره لكان مثله إذ هو بصدد العروض ولكنه نفاه قبل أن يعرض فكان تبرئةً منه بطريق الكسب فلا عذر لغيره فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهذا الخليل عليه السلام له القرب الواسع من الله** ".

قلت يقول هذا حاله عليه السلام في مُراعاة الحكمة الربانية ونظره لها من حيث أثبتها الحق وجعلها مبثوثة في الوجود حيث تَحَمَّلَ مشقَّة التصريح بالغير لقصة نبيه مراعاة لحكمة الحق في إثبات ما وقع به الابتلاء تحقيقاً لحقيقة الحق في عوالمه ولم يكتف عن ذلك بلازم معقوله وإن كان مطمئن القلب به وهذه إشارة ابن الفارض بقوله.

وإن اكتفــى غيــري بطيــفِ خيالــه   فأنـــا الـــذي بوصـــاله لا كتفـــي

وهو موافق وإن كان في صورة كلامه مغْمز.

ثم قال ﷺ.

" **وإنما كان ذلك في ابتداه** ".

قلت يعني في إبتداء نُشوئه وأول ظهور عوالم حسه هكذا بيّناه في أصله بزيادة قوله ليقف حسه من الحقيقة على ما عقد به سره فلا يكون تبعاً له في نظره، وبيان ذلك هو أنَّ مقام النبوة معصوم من الجهل بمولاه في جميع أحواله من أول نشوئه إلى الأبد وأنَّ وجود النظر المذكور إنما كان للقيام بحق عوالم الحس في توصيلها لبرهان المعرفة بطريق لائق بها وذلك لا يصح إلَّا بعد ظهورها وهو إبتداء آخر وجه لهذا العالم أو ما في معناه إذ لا إحساس قبله فعند ظهور الإحساس قوبلت بأحكامها من غير مهلة أعطاءً للمرتبة حكمها دون توقف فلم يعرض لها نقصٌ كما لم يعرض للحقيقة وأيد ما عندها بشواهد نقص المعارض قبل عروضه فانتفى عروضه فذكر الإبتداء لزيادة التنزيه لا لإثبات الترقي فافهم وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **فلما وَضَّحَ له انتفاء الشَّك والريبة من وجوده بتحقق شهوده إذ لم يكن** ".

قلت يعني ظهر له لأنَّ وجوده ظاهراً أو باطناً لا يقبل شكاً ولا ريبةً من طريق الأوهام والخيالات ولا من طريق الصور والأشكال بعصمة الله له الظاهرة من عقد

ضميره على غيرِ أفلٍ وانتظام ظاهره مع ذلك في نفي كُلَّ أفل ولذلك أشار ﷺ بقوله.

" نحنُ أحق بالشَّكِ من إبراهيم "[1].

يقول إن كان ثَمَّ شَكٍ فنحنُ أحقُ به ولا شَكَّ فلا أحقِّيةُ وهذا منه ﷺ على سبيل المبالغة في النفي لا إثباتاً للشَكِ أو لقبوله في أحد الجانبين أو غير ذلك بل هو أمرٌ فَرَضي لا يلزم منه ثبوت الحُكم لمحله إذ مورده الاحتجاج ثم إن توهم فالمراد من عداه ﷺ من غير الأنبياء إذ لا يعرض الشَّكَ لنبيٍ أبداً فافهم.

وقد كان في أصل عبارة الشَّيخ مختصرة جداً، أضربنا عنها لَمَّا أمر بإصلاحها به نفياً للإيهام وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **قطع يقيناً** ".

قلت يعني بما عرف تحقيقاً من نفي المعارض وثبوت الحقيقة كذا أثبتناه في الأصل بإشارة الشَّيخ ﷺ ومعنى ذلك أنَّ وضوح نفي الشَّك والريبةَ من وجوده لوجوده أوجب له العلم بتحقيق موجوده على وجه لا يقبل النقيض أبداً بوجه ولا بحال، وإن كان ذلك فيما قيل فبرهان نفي القبول في مورد العارض لم يقع على تمامه في جميع العوالم وإن تحقق في عوالم العقل التي لا يقبل التغير فافهم وعند وجود القطع بنفي المعارض ترجم عن حقيقة ما افتضاه الحال من ثبوت الحقيقة الثابتة عنده كما

---

[1] . أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه

قال ﷺ.

فقال لسان حاله.

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]

قلت أخبر عن الكُّلِ بلفظ الماضي ليشعر ثبوته في الماضي وإنَّ العارض في حال التكلم فيه كان منفياً بثبوت الدلالة في وجود الفطرة لا من حيث التغير بالأقوال ونحوه، ثم قال

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

فيما قلته من هذا ربي بالصورة ولا بالحقيقة إذ كان وقع عليه منفياً في نظري مقصوداً لتأكيد النفي في إطلاقي، وَعَدَل الشَّيخ للسان الحال لأنه أمرٌ ثابتٌ لا يحتمل خَلَفاً، وأشعر قوله اللساني كان ترجمة حاله وهو أبلغ والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **انظر إلى مقامه الأول والثاني** ".

قلت الأول والثاني بالنسبة إلى سياق الكلام وصورةُ البرهان والخطاب لا في نفس الأمر، إذ لا مقام له سوى القيام مع الحق وبالحق وللحق فلا تعداد فافهم ثم بَيَّنَ كِلَا المقامين على الوجه المذكور.

ثم قال ﷺ.

" **صرَّح بما أخبر الله من ربوبية الغير لقصد نفيها** ".

[1] . الأنعام 79

قلت وذلك حق العبودية باتِّباع رسمها من حيث التسليم الجدلي المقصود للبرهان الوجودي وإظهار العجز في بساط الحقيقة بالرجوع إلى الأسباب في إثبات الحقائق اعتباراً بحكمةِ ثبوتها وتحقيقاً لمزيته إذ كان مُصاناً عَمَّا صَرَّح به في نفس الأمر كما بَيَّنه الشَّيخ إذ

قال ﷺ.

" مع عدم التفاته لشيءٍ سواه ".

قلت في حال تصريحه إذ لم يقبل سوى وصفه هكذا اثبتناه في نُسختِنا بإشارته ﷺ ومرجع ذلك لقوله.

﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الافِلِينَ ﴾.

إذ لو لم تكن عنده حقيقة لا تأفل ولا تقبل الأفول، قلبه معقودٌ بالنظر إليها ما نفي وجود من وصفه الأفول وهذا ما أشرنا إليه بقولنا في تكميل.

" فدلَّ على أنَّ تصريحه ليس مراداً لذاته إذ ليس بصحيح في ذاته ".

قلت كذا اثبتناه في نسختنا وعرض على الشَّيخ فلم يرده وبيانه أنَّ عدم التفاته لشي سواه في حال تصريحه من حيث معناه ينفي وجود تصريحه من حيث معناه وقوله

﴿ لَا أُحِبُّ الافِلِينَ ﴾.

ينفيه من حيث الصورة وقوله

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ ﴾

يرفع كل عارض ومقابل في الجملة فافهم

ثم قال ﷺ.

" **فلما اختلف عليه الحال** ".

قلت يعني في الشواهد إذ رأى من حقيقتها خلاف ما تعطيه صورتها وهو الأفول بدلاً من الثبوت والنفي بدلاً من التحقيق.

" **وتحقق الفعل والأفعال** ".

بما عاين في حضرة الشاهد صار لعيانه الحسي ما كان لقلبه الغيبي من البرهان اللائق به فاستوى ظاهره وباطنه في تحقيق العلم بوجود موجده وممده ولم يبق فيه نصيب يقبل وجود غيره في علمه وإلَّا فكان كذلك أي مستوى الحقيقة في العلم به وعدم قبول غيره في نفس الأمر، فعند هذا التحقيق.

" **نادى لسان حاله بالتحقيق وهو ما انطوى عليه ضميره من نفي السِوى** ".

قلت وذلك بأن سرى في كُليته سرياناً أوجب له الاندفاع به من غير وقوف ولا تعويق فقال في حاله إني وجهتُ وفيما بعد ذلك حسبي من سؤالي علمه بحالي.

﴿ **فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾(1).

وقد قال الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ في قوله تعالى.

﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** ﴾(2).

قال وفي مقتضى قوله تعالى.

﴿ **حَسْبِيَ اللَّهُ** ﴾(3) انتهى.

1 . الشعراء 77

2 . النجم 37

3 . الزمر 38

" وإنما قال ذلك بعد ما ذكر اندفاعاً بالحقيقة وقياماً بحق الحكمة وإيضاحاً للحُجَّة والمحجَّة ".

قلت وهذه الزيادة في نسختها المعروضة على الشَّيخ وإنما زدناها لنفي التوهمات وبالله سبحانه التوفيق.

وهو من باب قوله ﷺ كلما ظهرت على يدية معجزة أشهد أني رسول الله[1]. إذ يأتي بذلك اندفاعاً بالحقيقة وقياماً بالعبودية لا نفياً لأمرٍ في النفس أو اثباتاً لما لم يكن لأنَّ كل ذلك لا يجوزه عليه فافهم.

ثم قال رضي الله عنه.

" فهذا، أي الابتلاء في عالم الحقيقة بالمعارض الذي لا يصح نفيه إلَّا ببرهان هو الداء المعضل المشكل الذي لا يطيق مقابلته بالرد قبل التمكين إلَّا أهل الكمال لوفور أنوارهم وتطهير أسرارهم عن كل غيرٍ وسوى من أول وجودهم إلى آخر موجودهم فإنَّ الحق سبحانه قد أطلع شمس الحقيقة على وجود العباد يوم الميثاق يوم.

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[2].

وألْزَم عباده بهذا الإقرار لثبوت الحقيقة في شهودهم من يومئذ ولولا ذلك لَمَا كان حُجَّةً عليهم يوم القيامة كما قال تعالى في التقرير.

﴿ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾[3].

---

[1] . أخرجه البخاري

[2] . الأعراف 172

[3] الأعراف 172

ثم خلق سبحانه لهذه الشمس معارضاً في وجود الخلق هو الوهم المتعلق بالخيالات والصور.

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[1].

فانقسم الخلق بعد البروز لهذه الدار ثلاث أقسام.

أحدها أهل الاختصاص الذين حماهم من وجود المعارض فبقوا على أصل الشهودِ فكانوا مطهَّرين من الشكوك والظنون والأوهام بأوَّلِ قدم ولا يزالون كذلك إلى أبد الآبد وهم الأنبياء والمرسلون ومَن له نسبةٌ منهم بطريق الوراثة في الحفظ من الصديقين ثم مع ذلك فهم لا يهملون وجه الحكمة في براهين النفي والإثبات كما تقدم آنفا في كلام الشَّيخ ﷺ على المقام الابراهيمي عليه السلام.

القسم الثاني قومٌ عرض الوهم لهم بوجوده فخافوا دخوله عليهم ووصُوله إليهم فاشتغلوا بحسم مواده وأسبابه وغلق جهاته وأبوابه فترةً بالدليل والبرهان، وتارةً بالإيضاح والبيان، وتارةً بالرجوع لأصل الإيمان وهذه مرتبة في الاختصاص دون التي قبلها، العوام الأولياء وأرباب الصفا واليقين

القسم الثالث قوم عرض لهم الوهم فقبلوه وداخلهم وجوده وهم على ثلاثة أقسام.

قسمٌ تَمكَّن من قلوبهم فدفعوا به الحقيقة ولم يقبلوا غيره إلى الأبد وهم الكفَّار الذين.

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[2].

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[3]

---

1 . الأنفال 37

2 . التوبة 67

3 . البقرة 27

فقطعهم.

﴿ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1].

وقسمٌ داخل قلوبهم وتمكن منها مرة ثم ظهر لهم الحق فتبعوه وبان لهم الأمر فيما كانوا عليه فلم يُراجعوه وهم الَّذين تداركتهم عناية الحق فأسلموا بعد كفرهم وآمنوا بعد جحودهم فكان ما جاؤا به آخراً مُزيلاً لِمَا كانوا عليه أولاً.

﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[2].

وقسم لم يداخل قلوبهم لكنه نزل بساحتها فساكنوا الخلق بالاستناد وتوجهوا إليهم بالاعتماد ونفوا وجودهم بالاعتقاد وهذه حالة عوام المؤمنين من العصاة والمذنبين وسائر الخلق وسائر الجناة والمُوَسْوسين فتارة لهم وتارة عليهم، غير أنَّ حُكم الأصل محفوظ لهم لملاحظتهم إياه في جميع أمرهم فافهم ذلك موفقاً إن شاء الله.

ثم قال ﷺ.

" **عافانا الله وإياكم من ذلك** ".

قلت طلب المعافاة من الداء المُعضلِ المُشكل الذي هو عروض الوهم للحقيقة من حيث دخوله عليها كما عافا نبيه ابراهيم عليه السلام ومَن جرى مجراه من النبيين والصدِّيقين وقد قال الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

" العلم الحقيقي هو الذي لا تزاحمه الأنداد ولا الشواهد على نفي الأمثال والأنداد كعِلم الرَّسولِ، والصدِّيقِ، والولي، فمَن دخل هذا الميدان كان كمَن غرق في البحر

[1] . الأنفال 16
[2] . الأنفال 38

وتلاطمت عليه أمواجه فأيُ ضدٍّ يُزاحمهُ أو يلقاه أو يسمع به أو يراه ومَن لم يدخل هذا الميدان واعترضته العوارض احتاجَ إلى قوله.

﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] انتهى.

وهو مطابق لسابق التقسيم فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وَرَزقنا وإياكم حسن الخاتمة عند الموت** ".

قلت يعني لا يعرض لنا المُعارض بعد الوجدان، كما لم يعرض لنا قبله لأنَّ صورة الخاتمة قد تكونَ على صورةِ السابقةِ من حيث وجودها وقد لا وإن كان الحُكم لا يتبدل فلِنسب المظاهر اعتبارٌ في الحكمة والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **الجامعة لجميع مواقف الحق ودواعي الحق** ".

قلت هذا الوصفُ مُنْصَّبٌ على الخاتمةِ فإنها هي التي تجمع حقائق العمر إذ يموتُ المرءِ على ما عاش عليه وتجمع مواقف الحق.

" إذ يبعث على ما مات عليه "[2].

وقوله عليه السلام.

" **إنَّ العبد ليعملُ بعملِ أهلِ الجَنَّة** "[1].

---

[1] . الشورى 11

[2] . عن جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ " يبعثُ كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه " أخرجه مسلم

مقيدٌ بقوله فيما يبدوا للناس فأشار لكمون أمرٍ هو سبب الخاتمة في الجانبين وقد أشبع في ذلك صاحب " **نوادر الأصول** " بما لا استحضِرهُ الآن.

ثم قال ﷺ

" **التي هي حضرة الختم والختام** ".

قلت خَتْمُ العمل أي تمامه بتمام محله وهو العمر الدنيوي وخِتامه الذي يختم به فلا يُمكن فيه نقصٌ ولا زيادة حتى يؤتى به يوم القيامة على ما هو عليه، جعل الله ذلك كما يُحب ويرضى من حيث أفضاله بِمنَّه وكرمه.

ثم قال ﷺ.

" **خَتَمَ الله لنا ولكم ولجميع الإخوان من المؤمنين والمسلمين بِحُسن الخاتمةِ** ".

قلت أعاد الدعاء بعد تعريف الخاتمة بالدعاء الأول لتمكنها في النفس بوجود العرفان في حق السامع واشمل جميع إخوانه من أهل مقام الإيمان والإسلام ليكونَ أبلغْ في نُصْحهِ، وذَكَرَ التفصيل بين المقامين ليُشعِر بالرُتب والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **بحقِّ مُحمَّدٍ وآله وسَلَم** ".

قلت تَشَفَّعَ بالنبيِّ ﷺ ليكون أنجَح لمقصده إذ قد جاء في الخبر.

" **توسلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ** ".

---

[1] . عن عائشة ﵂ أنها قالت، قال رسول الله ﷺ " إن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وإنه لمن أهل النار وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم وفى لفظ بخواتيمها " رواه أحمد، والبخاري، والطبراني، وابن حبان،

وروي أنه مكتوب تحت ساق العرش.

" **مَن اشتاق إلى رحمتي رحمته، ومَن سألني أعطيته، ومَن توسل إليَّ بجاهِ مُحمَّدٍ ﷺ لم أُخيبه** ".

أو كما قال، وإنما ذُكر الآل بعده للتأكيد في التوسل ونحو ذلك، وقوله يحتمل أن يكون اكتفى بالتسليم عن التصلية لدلالتها عليها وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون طالباً للسلامة مع قصده وهو بعيدٌ من السياق والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **صلاةً دائمةً بدوام الله كما يُحِبُ ربنا ويرضى** ".

قلت وقع في نسخة الشَّيخ كما ينبغي ربنا وفي بعضها كما يُحب إليه يرجعُ لأنَّ الأول مشكوك في جواز إطلاقه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **آمين، آمين، آمين** ".

قلت في معنى أمين اختلاف من محاسنه قول جعفر بن مُحمَّد الصادق ﷺ.

" قصدناك وأنت لا تُخِيبُ القاصدين ".

ثم في قصره ومَّده مع شَدِّ مِيمه وتخفيفها أربع لُغاتٍ والله سبحانه اعلم وهو حسبنا ونِعمَ الوكيل.

تنبيه. كلَّ ما ذكر في هذه الخطبة فهو صدرٌ في باب التوحيد العرفاني المترجم عن حقائق العقود ومبادئها فتأمله وبالله التوفيق.

الباب الأول

في الحرفِ المُطلق القائم في جميع الموجوداتِ جملةً وتفصيلاً

قلت لَمَّا كانت الحروف بصورتها من عالمِ المُلكِ وبحقيقتها من عالم الملكوت وبتخيُلها من عالمِ الحسِ المشترك كانت لها نسبةً في السفليات بصورها، ونسبةً في العلويات بحقائقها، ونسبةً في النفوس بموازاتها لكونها وسطاً والنظر فيها، وأما من حيث الشكل والهيئة والعدد والموقع والطبيعة والنسبة، وأما من حيث التركيب والتوقيع.

فالأول مطمحُ أهلَ الاعتماد والأسرار.

والثاني محل تصرف المعربين والنظار، والمراد هنا الوجه الأول لِمَا يطلع عليه من حقائق الوجود وما يُبديه من العِبر في كل موجود، ونتكلم على ذلك بحسب ما يؤدي إليه فهمنا حسب ما تناوله العبارة ويقتضيه الحال فنقول قوله ﷺ.

المطلق يعني في دلالته على الجموع والأفراد والآحاد والأعداد والنقصُ والكمال.

وقوله القائم في جميع الموجودات يعني سره وتصريفه لإحاطته جملةً في الجُمليات وتفصيلاً في التفصيليات كما تراه مبيناً إن شاء الله.

والحرف هو الذي ذكره بقوله ﷺ.

قال الله تعالى.

﴿ ق ﴾[1].

قلت احال على القرآن لتمكن الدلالة في الإيقاع ولأنه وقع قسماً مقروناً بالقرآن فَدَلَّ على شموله وإحاطته في بابه كشمول القرآن وإحاطته لعلم كلِّ شيء إذ.

---

[1] . ق 1

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1].

وهذا يجري على أنَّ القَسَم بالحرف نفسه لا بما يذكر من دلالته على جبلٌ محيطٌ بالأرض والله اعلم، ثم أخذ الشَّيخ في بيان قيامه في الموجودات.

فقال ﷺ.

" **هذا حرف أصلُ دائرته تجمع جميع الدوائر في جميع العوالم** ".

قلت أما من حيث شكلهُ فهو دائرةٌ تامة اتصلت بها دائرةٌ ناقصة لولا الأولى ما اعتبرت، ولولا هي ما عُرفت فكانت الدائرةِ التامة مشيرةً لمعاني الربوبية إذ لا بدية لها ولا نهاية مع الإحاطة والعلو والشمول، وكانت الدائرة الناقصة مشيرة لمعاني العبودية إذ بدايتها من الدائرة العليا وهي تحت قهرها فكان التأثير من العليا في السفلى والدلالة من السفلى على العليا عند مَن سبق نظره إليها وبالعكس العكس، وأما من حيث المعنى فإنَّ التصرف به مقصودٌ لإثبات الربوبية والعبودية من حيث الإقرار إذ لا وصول لغير ذلك والاتيان به هو الجاري في الوجود كله إذ وجود الخلق إنما هو ليعرفوا ربهم قال تعالى.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

قال ابن عباس.

" أي ليعرفوني ".

وفي الخبر.

" **كنت كنزاً لم أُعرف فخلقت الخلق ليعرفوني** ".

---

1 . الأنعام 38

2 . الذاريات 56

وغاية الخلق من المعرفة إنما هو الإقرار بالأحدية على بساط العجز وهو قولٌ يدلُ على دائرةِ الكمالِ بأحكامها في الجملة وعلى دائرةُ النقص بأحكامها في الجملة من حيث المقابلة فيهما لا من حيث أنهما وصفين لموصوفٍ واحد فافهم وهذا ما نبه عليه الشَّيخ.

فقال ﷺ.

قوله تعالى.

﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[1].

" **هو نهايةِ حضرةِ الوجود من جميع العوالم** ".

قلت يعني أنَّ غاية الموجودات تدور على هذه المقالة في ثلاث مراتب.

أحدها مرتبة الحكمة التي قصد وجودها لأجله وهو كما ذكرناه أولاً في حق العاقل بالطلب، وفي عمومِ الخلقِ بالدلالة على أنَّه لا يبلغ إلَّا إلى إثبات الأحدية ولا يبلغ من الأحدية إلَّا الإقرار بها وهو قول نفسي في باب الاعتقاد، الساني في باب الاعتراف فافهم.

الثانية مرتبة الحقيقة التي عقدت بوجودِ جميع الموجودات في تفاصيل الوجود باعتبار أجناسه وأنواعه وأشخاصه ووقائعه حتى كانت دلالةً على ما ذُكر من الأحدية وشاهده به.

﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾[2].

---

[1]. الإخلاص **1**

[2]. الإسراء **44**

الثالثة مرتبة الوجدان الذي ينتهي إليه أهل الاختصاص وليس إلَّا وجود الاعتراف بالأحدية المقتضيةِ لوجود العجز عن إدراكها أو إدراك تفاصيل معانيها وهو قولٌ ينتهي إليه كلَّ عارفٍ وإن بلغ ما بلغ كما قال.

" لا أُحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك فيلهمني محامد لا اذكرها الآن "[1].

فهذا بيانٌ كون.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

هي نهاية الوجود جملةً وتفصيلاً فافهم، فأما مراتبها في حقائق العارفين فهو الذي ذكره.

فقال ﷺ.

" وهو حضرة الخصوص المطلق في حق الأرواحِ والأشباحِ وفي حق الأنبياء والملائكة المخصوصون عليهم السلام ".

قلت يعني ثَمَّ مع شمول معنى الأحدية واتساع شواهدها ومشاهدتها، فغاية اختصاص المختص من الأكابر وغيرهم إنما تنتهي لذلك فتحضى الأرواح منه بشهود الأحدية وهو قولٌ قائمٌ بها، وترتاح الأشباح لذلك من حيث ظهور الاعتراف عليها واستشعار الكمال به قال في الحكم.

" اشهدك من قبل أن استشهدك فَنَطَقَتْ بأُلوهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر ".

---

[1]. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَجَعَلْتَ أَطْلُبُهُ بِيَدَيَّ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ " أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أحصي ثناءاً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ

ثم قال.

" أكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكراً له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكوراً عنده ليتم نعمته عليك " انتهى.

وفيه نصيب الأرواح والأشباح في بساط الحقيقةِ فتأمله، وقوله وفي حق الأنبياء والملائكة المخصوصين ذكر أعلى المراتب في الاختصاص وإنها إنما تنتهي للإقرار بالأحدية فكان من دونها أحرى في الخصوصية لكن لكلِّ رتبة في معرفة الأحدية والاقرار بها لا يُدركها مَن دونه ولكلِّ منها رُتبٌ لا تتناها في دار الآخرة الأبدية فضلاً عن هذه الدار الدنيئةِ وهذا ما نبه عليه الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" **ويبرز لنا من ذلك حضرات عديدة** ".

قلت من معارف الأرواح والأشباح وأهل الاختصاص وغيرهم بحسب الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص والأحوال والتوجهات وذلك أمرٌ يضيق الوجود عن تفصيل آحاده إذ ما اتفق اثنان قط في شيءٍ واحدٍ من جميع الوجوه وإن اتفقا في أصل الأمر أو فرعه أو بعض جهاته ولذلك قيل.

" الطرقُ إلى الله بعددِ أنفاسِ الخلائق ".

على أنَّ كلَّ نفسٍ يقتضي تَجَلٍ لا يشبه ما قبله ولا بعده، وذلك التجلي يقتضي عبوديةٍ تليق به وتلك العبودية تقتضي تجلياً وهكذا ابداً، ومرجع الكُلِّ لإثبات التعظيم على بساط الأحدية من وجهٍ يَصلُ إليه البشر وهو الإقرار بها مع الإقرار بالعجز عن العلم بحقيقتها فافهم.

ثم قال ﷺ.

" كلُ حضرةٍ يتحيرُ عندها ذو العقول السليمة ".

قلت لِمَا يبدوا من اتساع معانيها وأنواع وجوهِهَا في وجودها المدرك عظمته بأول قدم فيه فينتهي العقل إلى الإقرار بها لأنَّ في مَدركهِ إثباتِ ما فوق طَوره وهي رتبته العليا، ولذلك قيل.

" العقل عُقال ".

وهذا محل العجز في محل الإدراك فكيف بما وراءه وهو ما نَبَّه عليه الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" ويعجِزُ عن إدراكها جميع الإجماعات ".

قلت فلا تُدرك بالعقلِ ولا بالفهمِ ولا بالوهمِ ولا بالخيالِ لعدم دُخولها تحت هذه الدوائرِ رقةٍ واتساعاً لأنها من فيضانِ نورِ الحقيقةِ على القلوب الذي لا يُدرك بمعتادِ النظر وانما تدرك بما وراء ذلك وهو ما بَيَّنه الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" وإنما تُعرف بالذوقِ والفهمِ والعلمِ ".

قلت بالذوق في حق أهل التوجه، وبالفهم في حق أهل التعلق، وبالعلم في حق أهل التحقيق فالذوق أمس، والفهم أرق، والعلم أوسع، الذوق حظ الأرواح، والفهم حظ القلوب، والعلم حظ الأسرار، والكل يفيدُ فِهْمَ الحقيقة لكن بين الخبر والعيان ما بين التلفيف والبيان، وقد تكون هذه مراتب الذوق أولاً ثم الفهم الناشئ عنه ثم العلم التابع له وهو محل التحقيق فافهم.

وإنما كانت موقوفةٌ على ما ذُكر لأنها أمورٌ وجدانية، والوجداني لا يُغني البيان فيه عن العيان كحلاوة العسلِ ولذَّةِ الجِماع ومرارة الصبر وسماجة التنكار وبالله التوفيق ثم نزع بآية موافقة لِمَا ذُكر

فقال ﷺ

﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ** ﴾[1].

إن قلت أتى بالآية من غيرِ إشعار بنقلها ولا إحالةٍ على غيرها اكتفاء بما تقدم في قوله تعالى.

﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[2].

أي وقوله.

﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ** ﴾.

وذلك أنَّ موقع الآية هنا قسيمٌ لِمَا قصد الاستدلال عليه هناك وهي دائرة القاف الثانية التي هي وجود الخلق بأمره الواقع فيهم عن قوله.

﴿ كُنْ ﴾[3].

وفَصلَ بين أول الآية وآخرها ليُبين أنَّ الإبرام غير متوقف على القول وأنَّ المقصود إنما هو سرعة التكوين والخطاب لترتيب الحكمة إذ متعلقات العلم ثم متعلقات الإرادة ثم الأمر ثم الإبرام من غير قصد في التعلق وإن ترتبت في الفهم.

﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾[4].

---

[1] . النحل **40**

[2] . الإخلاص **1**

[3] . يس **82**

[4] . القمر **50**

ولمح البصر تقريب بل أقرب كما قال في أمر الساعة فافهم

ثم قال ﷺ.

" **آخر حضرة الأوامر وهي عين الأمر** ".

قلت حضرة الأوامر هي عين الأمر كما قاله، يعني أمره بأن تكون عن تحقيق الحكم عليها بالكون إذ سبق علمه بالكائن ثم أجراه على وفق علمه في الأمر والإبرام من حيث الظهور ومن حيث الوجود لا من حيث الحكم له بالوجود إذ لا حدوث في أحكام أوصافه تعالى فلا تقديم ولا تأخير إلَّا بالنسبة إلى أفهامنا وإلَّا من حيث التعليق التنجيزي، وهذا من غوامض مُدركات العقول فاعرفه.

ثم قال ﷺ

" **وحقيقة الأمر نقول له كن فيكون** ".

قلت فمحط الحقيقة في التصريف الأمر به كما قيل.

" **خزائن الله الكلام** "[1].

﴿ **إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى.

﴿ **مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾[3].

قال سيِّدي أبو العباس ﷺ.

" الحق الذي خلق الله به السموات والارض هو قوله.

---

[1]. عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ' خزائن الله الكلام إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون

[2]. يس 82

[3]. يونس 5

﴿كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال تعالى.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾[1].

فَدَلَّ على أنَّ ذلك هو المراد والله اعلم ".

وقال بعض العلماء.

" كلمات الله التَّامة هي كُنْ لسريانها في كل موجود " فافهم.

ثم حقيقةُ الأمر لا تقع إلَّا على مجموع قوله.

﴿كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

لأنَّه مقصودٌ لوجود الأمر بسُرعةِ التكوين دون كافٍ ولا نون ولا ترتيب يعقل من حيث الاعتياد بل الأمر لا ينفكُ عن التكوين، فالخطابُ مقرونٌ بوجودِ المُكوِّن على وجه يثبت ولا يعقل ولذلك لم يقف بعضهم على كُنْ بل على كمال الآية والله اعلم. والمقصود أنَّ الوجود انفعاله عن القول كما أنَّ حكمة وجوده القول، فالقاف جار فيه آخراً كجريانها أولاً وهذا ما نَبَّه عليه الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" **هذه حضرة القاف الثاني المطلقة في عالم التكوين قبل أن يكون التكوين** ".

قلت أراد بقوله الثاني يعني الثانية وقد يكون بمعنى تعدادها في الوجود وهو بعيد إذ المراد أنَّ للقافِ حضرتين، حضرة أُولى هي المقصود الحق من الخلق ومقصوده بهم ومراده لهم كما تقدم.

---

[1] . الأنعام 73

وحضرة ثانية هي تصرفه فيهم وتصريفه لهم فالأولى مطلقة في بساط الحقيقة، والثانية مطلقة في بساط التحقيق، فالأولى عزّيةِ جبروتيةً، والثانية ملكوتيةً مُلكية، فمن حيث التصريف ملكوتية ومن حيث ظهور المتصرف فيه عنها وهي الأكوان ملكية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم قال ﷺ.

" **التي بدايتها نهاية ونهايتها بداية** ".

قلت يعني أنَّ الحضرة الثانية وهي التصريف بالأمر بدايتها نهايةِ الحضرةِ الأولى بظهورِ سرِ الحكمةِ المقصودة من شاهد الأحدية، ونهايتها الذي هو ظهور الكونِ بالحُكم نهاية بداية ظهور وجود الأحدية للوجود وقد يُريد أنَّ بدايتها نهاية العقول، ونهايتها بداية الوصول، إذ إنما ينتهي المخلوق إلى مثله وإنما يُعرف حقُ المعرفة ما كان من شكله وإنما جعل العقل آيةً للعبودية، لا للأشراف على الربوبية، وللعقول حدود لا تُجاوزها، والعجز عن درك الإدراك إدراك، فتأمل ما ذكرناه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **التي لم يَعرفُها غير مَن شَاهَدها وشِهدها وأشهَدها** ".

قلت يعني لم يعرفُها حقَ المعرفةِ غير هؤلاء الثلاثةِ لوجود الوجدانِ الذي ينتفي معه الشَّكَ والوَهمَ بوجود العيان إلَّا أن شاهد عن بُعدٍ وشَهِد عن قُربٍ وأشهَدَ بفعلِ غيره فهو أعلا من الذين قبله كما يأتي بيانه آنفاً إن شاء الله.

ثم ذكر آيةٍ جامعةٍ للمواقف الثلاثة.

فقال ﷺ

﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[1].

قلت نزع بالآية لأنَّ مواقع الشهود عليها مُنصبةٍ في الوجوه الثلاثةِ فمَن شاهد الحقيقة لم ينتهِ لغير العلم بالقيوميةِ، ومَن شَهِدها لم ينته لغيرِ تحقيق العلمُ بالحياة، ومَن أشهَدها وقف في موقف الفناء بشهود الأُلوهية من حيث معناها في الكمال والجلالِ أو ما وراء ذلك وهو لحوظ معنى الجلالة شاهد القيومية فنى عن أفعاله، ومَن شَهِد الحياة فنى عن أوصافه، ومَن أشهد الجلالِ والكمالِ فنى عن جملةِ وجوده فبقى بربه لربه كما قيل.

" فيفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين الفنا ".

وقد قال بعض العارفين.

" من شَهِدَ الخلق لا فعل لهم فقد فاز، ومَن شَهِدَهم لا حياة لهم فقد جاز، ومَن شَهِدَهم عينُ العدَم فقد وصل "[2] انتهى.

وترتيب الآية على التدلي مع حال الواصلين لا على الترقي على حال القاصدين لأنَّ الخِطاب من بساطِ العِزةِ في حقائق العظمة والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **شَاهَدَها بعَينِ الجلال، وشَهِدَها بعين الكمال، وأشهَدَها بعينِ السِر** ".

قلت فبعين الجلال ينفى أفعال الخلق لاستشعاره قهرهم، وبعينِ الكمالِ ينفي صفاتهم لاستشعاره افتقارهم، وبذلك يرى حياة الحقِ إذ لا حياة لهم إلَّا به، وبعين

---

[1] . البقرة 255

[2] قول مُحي الدين بن مُحَمَّد بن علي بن العربي الحاتمي

السِر وهو كمال العلم له وعظمته وكبريائه دون علةٍ ولا سببٍ ينفي كل منفي وثابت فافهم.

قال ابن عطا الله في الحِكَم.

" شُعاعُ البصيرةِ يُشهِدُك قُربهُ منك، وعين البصيرة يُشهِدُك عدمك لوجوده، وحق البصيرةِ يُشهِدك لا عدمك ولا وجودك ".

" **كان الله ولا شيء معه وهو الان ما هو عليه كان** "[1] انتهى.

فانظر بسطه في شروحه وبالله التوفيق، ثم ذكر الشَّيخ الأصل الجامع لوجوه الشهود بآيةٍ واحدة.

فقال ﷺ.

﴿ ***قُلِ اللَّهُ ثم ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ*** ﴾[2].

قلت هذه الآية هي محط رِحال القومِ في كُلِّ مرتبةٍ من أعلا المراتب إلى أعلا أعاليها تفصيليةً كانت أو جُمْلِيةً وينال كُلُّ أحدٍ منها نصيبهُ على قدر فهمه وعقله ونوره وفتحه وتوجهه وتحققه، ويظهر ذلك في المراتب الثلاث المتقدمة إذ الكُل إنما مطمح نظرةُ انفراد الحق فافهم.

وأدنى المراتب منها تركُ الكُلِّ على الكلِّ بالفِرارِ من الكُلِّ إلى ربِّ الكُلِّ وقد تكلَّمنا على بعضِ معانيها في شروحنا المتأخرة على الحكم وبالله التوفيق.

[1] . رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة، وفي رواية: ولا شيء غيره، وفي رواية ولم يكن شيء قبله قال القاري ثابت ولكن الزيادة وهي قوله وهو الآن على ما عليه كان من كلام الصوفية.

[2] . الأنعام **91**

ثم قال ﷺ.

" **تَسلسَلَ الأمر إلى الامتزاج** ".

قلت الامتزاج المداخلة والمراد فناء أحكام العبودية في أوصاف الربوبية حيث " يفنى في نظره مَن لم يكن، ويبقى مَن لم يزل " فافهم.

وقد قال في الحكم.

" لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ".

وقال رجل بين يدي الجنيد.

الحمد لله ولم يقل رب العالمين

فقال الجنيد كَمِّله يا أخي

فقال الرجل وأيُ قدر للعالمين حتى يُذكروا معه

فقال الجنيد قله يا أخي فإنَّ الحادث إذا قُورِنً بالقديم تلاشى الحادث وبقيَ القديم ".

وقال ابن العريف[1] في " **محاسنه** ".

" حتى يفنى مَن لم يكن ويبقى مَن لم يزل " انتهى.

فتأمله عالماً أنَّ ما ذُكر من طريق الحُكم والنسبة لا من طريق الحلول والإتحاد تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

ثم قال ﷺ.

" **والامتزاج هو الدِّين** ".

---

[1]. ابن العريف (481 هـ –– 526 هـ) أحمد بن مُحَمَّد بن موسى بن عطاء الله كنيته أبو العباس الملقب بابن العريف، نسبته من قبيلة صنهاجة مدينة طنجة الموطن الأصلي لوالده ثم انتقل إلى الأندلس واستوطن مدينة المرية

قلت يعني الامتزاج على الوجه الذي قَدَّرناه قريباً، ومعنى القيم الذي لا اعوجاج فيه وإنما كان ذلك هو الدِّين القَيِّم لملاحظة الحُكمَ في عين الحلمة فيرجع بالكل لِعينٍ واحدة قال الله تعالى

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إلى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[1].

فارشد إلى الصراط بإضافته للمعاني الدالة عليه وهو أنَّ الكُل به وله وإليه فافهم.

فإذا كان الكُلُّ به فلا فعل لغيره، وإذا كان الكلُّ له فلا عبرة بسواه، وإذا كان الكلُّ إليه سائرٌ فلا رجوع إلَّا إليه وصورة هذه الحقائق في بساط العبودية مذكورة في قوله تعالى.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثم اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[2].

فاعرف ذلك وتأمله ترشد إن شاء الله تعالى.

ثم قال رضي الله عنه.

" عليك أيها الطالب الراغبُ إلى الله تعالى انتقل من عالم الخلق إلى عالم الحق ".

1 . الشورى 52 ، 53

2 . الفرقان 58 ، 59

قلت يعني بعالم الخلق، العالم الذي تدور عليه مطالبهم العاديةِ والطبيعية ونحوها، وبعالم الحق العالم الذي هو مطلوبُ الحق تعالى يعني الفناء في عين البقاء بإثبات الحُكم والحكمة لأنَّ وجود القاف دالٌ على ذلك، فالحكم دائرةٌ تامة في معرض التصريف، والحكمة تابعة لتلك الدائرة في وجودها وبالعكس وكذا الفناء والبقاء، الفناء دائرةٌ تامةٌ لاتصالها برؤية الحق، والبقاء رتبةٌ تابعةٌ لاتصالها بالخلق وبالعكس ولأنك مقصودٌ بالأمر مأمور بالتوجه فكل الحقائق إن تجلت لك لا عبرة بها إن لم يظهر عليك أثرٌ منها لأنَّ ما لا يصح في عالم الشهادة شاهِدهُ فهو مفقود في عالم الملكوت فإنَّ الأسرة تدلُّ على السريرة.

فما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره يلوح وكما قيل.

ولمَّا ادعيت الحُبَّ قالت كذبتني فماليَ أرى الأعضاء منك كواسيا[1]

فما الحبُّ حتى تنزفُ العين بالبكاء وتخرص حتى لا تُجيبُ المُناديا

ثم قال ﷺ.

" **وعليك بحفظ الجوارح ومعرفة الداخل والخارج عن واجبات الحق** ".

قلت نبه على أنَّ التحقق بالحقائق لا يكمل إلَّا بإتباع الشرائع وهي الدائرة التابعة للحقائق بالوضعي والحُكمي والدائرة التابعة لكمال الخلق فإنَّ الأرواح دائرة تامة، والأشباح دائرة ناقصة لا اتصال لها إلَّا من حيث وصلها بالأرواح ولا وصلةٌ لها إلَّا بنظافتها وتزكيتها وذلك بحفظ الجوارح ومراقبة الوارد والصادر من الحركات والتجليات وغيرها فافهم وبالله التوفيق.

[1] . كواسيا أضفى عليه مَرحاً وقبولا

انتهى الجزءِ الأول من فتح المواهب وكنز المطالب على صدور المراتب ونبيل المراغب وبالله التوفيق.

فصل

في مشاهدة الخلق بالحق

قلت مقصود هذا الفصل ذكر التوجه بما تقدم في الفصل قبله من علم المبدأ والمنتهى مرتباً عليه في معانيه ومبانيه، وقد مرَّ أنَّ القاف له حضرتان حضرة تامة وحضرة ناقصة.

وإنَّ الناقصة خارجةٌ من التامة فهي بالنظر إلى أصلها تامة وبالنظر إلى وجودها ناقصة وذلك اعتبار الخلق مع الحق إذ هم فعله، فمن حيث النسبةِ إليه وجوهم تامٌ جميل من غير نقصٍ ولا تفصيل ومن حيث رجوعهم إليهم يقع التفصيل ويحكم على الكُلِّ بالنقص إلَّا من حيث كماله تعالى لأنَّ الكمال كُلُّه له.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[1].

والخير في يدك والشَّرُّ ليس إليك، ثم اتصال الدائرة السفلى بالعُليا يُشير إلى اتصال الخلق بالحق من حيث أنه مُوجِدٍ لهم وممدُّهم فلولا العُليا ما وجِدت السُفلى ولولا السُفلى ما توصل للعلم بالعُليا فعادت الدلالة منه إليه وبه عليه، ويرحم الله الشَّيخ أبا الحسن الشُشتري حيث يقول.

ما للحجاب وجودٌ في وجودكم   إلَّا بِسرِ حروفٍ انظر إلى الجبل
ظهرتم فخفيتم في ظهوركم   أنتم دللتم عليكم منكم ولكم

1 . النور 20 ، 21

والناس في معرفة الحق والتوصل إليها على مراتب أعلاها معرفة الخلق به تعالى لأنه السابق لقلوبهم على معنى أنهم يهتدون إلى موجودٍ مطلقٍ يعرفونه بالكمال إذ لا يصح أن يكون المطلق ناقصاً ولا قابلاً للنقص وذلك يقتضي أنه فاعلٌ بالاختيار، وقد استوفينا الكلام على هذا الوجه في بعض تعاليقنا على الحِكم فلينظر هناك وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ

" **اعلم أنَّ الحق من حيث أنه الحقّ هو شيءٌ واحد ليس فيه داخل وخارج** ".

قلت قوله من حيث أنه الحق يعني من حيث وجوده الذي هو عين ذاته وقوله شيءٌ واحد يعني موجود لا يتعدد وإطلاقُ الشيئية في وصفه تعالى وارد شرعاً وقد أثبته القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه " **الأمد الأقصى** " من جملة الأسماء التي يقع بها الاثبات دون التَعبُد وترجم له البخاري في آخر كتابه فانظره.

وقوله ليس فيه داخل وخارج يعني لا يقبل التغير بالزيادة والنقص لأنهما طارئان، وطرِئان الأمور يقتضي بالحُدوث والحدوث على القديم باطل وما يعقل من وجود الصفات المعنوية ليس أمراً خارجاً عن الذات ولا داخلاً عليها لأنَّ الصفة والموصوف يتعقلان في الذهن إثنان وليس في الخارج إلَّا الذات بصفتها فالصفات متعلقة المعاني لازمةٌ للذات غير زائدة على الموجود ولا مفهومة الانفصال فلذلك لا يَصُح أن يُقال هي هو ولا هي غيره ولا هي فيما بين أغيارٍ فافهم وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **ولا يُطيق أكثر من واحد** ".

قلتُ يعني أنَّ التثنية لا يصح دخولها في وصفه فلا يقبل غير وصف الوحدانية من جميع جهات الوحدانية إذ لا نظير له في ذاته ولا شبيه له في وصفه ولا شريك له في فضله، وفعله أثر وصفه فهو عائدٌ إليه فليس إلَّا هو وحده في أبده كما لم يكن معه شيءٌ في أزله لثبوت أحديته فافهم، وقد قال في الحِكم.

" الأكوان ثابتةٌ بإثباته ممحوةٍ بأحدية ذاته ".

قلت فهي في وجودها كالعدم إذا لا وجود لها في القِدم فهي حادثةٌ والحادث مفتقِرٌ، والمفتقِر معتبر بمَن هو إليه مفتقرٌ لا بنفسه فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **لأنَّ الواحد هو عين الإدراك** ".

قلت يعني أنَّ إدراك الوحدانية من حيث إثباتها هو عين إدراك الواحد لعدم انفكاك الوصف الذاتي عن موصوفه والله أعلم.

ثم قال

" والمفهوم، أي من الوحدانية الذي هو الكمال المطلق مع ما فَهِم منه الذي هو الوحدانية متساويان في المعنى الثابت فلا زائد على الوحدانية وإن ظهر التفصيل في الأوصاف ولا زائد على الذات الكريمة وإن تعلَّقت الوحدانية لأنَّ الصفة والموصوف لا يعقل تعددها في الوجود الخارجي بل شيء عرفه الخلق من الحق مرجعه للتنزيه المطلق سلبياً كان أو إيجابياً لأنه لا يُعرف الإيجاب إلَّا من حيث السلب، إذ نقول لا يَصِحُ أن يكون ناقصاً فهو موصوف بصفات الكمال ثم نعود بها لذلك فنقول

وصفات كماله لا يَصِح فيها ما يجوز علينا فلا نقصٍ ولا حدوث ولا إدراك للكنه فعاد الأمر عوداً على بدنه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ

" **ويطلق على الآخر مثل ما للمقام الأول من نوع القبض والبسط**".

قلت الآخر هو المفهوم للوحدانية من معاني الكمال والجلال يطلق عليه من الحكم التنزيه ونفي التشبيه مثل ما للمقام الأول الذي هو إدراك الوحدانية من حيث الإثبات والتنزيه، إذ حُكم الكلِّ في الكمال ونفي المُحال وإثبات ما يجب ويجوز ويستحيل واحدٌ لإضافتها له تعالى.

﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1].

فتأمل ذلك.

وقوله من نوع القبض والبسط يعني وهذا الإطلاق من نوع القبض والبسط في وجوده إذ يتداخل حُكمهما كتداخل القبض والبسط حتى لا تفريق ويظهر الفرق بينهما حتى لا جمع وذلك لأنَّ العين التي جرى منها واحدة والوجه الذي توجها له واحدٌ والله أعلم.

وقد يريد أنَّ هذا المفهوم من الوحدانية هو الذي يجري بالقبض والبسط لأنه مُفَصَّل إلى جلالي وجمالي إذ لا قبض ولا بسط عند شهود الأحدية فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **ومن حيث هوية الطبائع والأجسام أنَّ القبض هو جلال الحقِ الذي بقهره فهو جميع العوارض في عالم الأجسام** ".

---

[1] . الشورى **11**

قلت يعني أنَّ القبض والبسط تارةً يعتبر بأصله ومنشأه، وتارةً يعتبر بوقعه وموقعه، وتارةً يعتبر بغايته ونتيجته فاعتباره بأصله ومنشأه هو الذي ذكر قبل هذا من العلم بالوحدانية وما يتفرع عنه ووقعه على حسب موقعه وهي الطبائع والأجسام من حيث هي يقع فيها بساط القهر وما يوجبُ لها البسط، ومن مقابلة ما يوجب لها، فالقبض من وقع القهر الذي يتوجه لعوالم الإنسان وأما نتيجته ومنتهاه فأشار إليها الشَّيخ بأن

قال ﷺ.

" **وأما في عالم الفناء فالبسط هو من مقام الجمال** ".

قلت يعني أنَّ البسط عند النظر إلى توجهه من الحقِ بلا واسطة ولا نظر لمادة ولا سببٍ يُضاف إلى الجمال فيُقال البسط من مقتضيات الجمال كما أنَّ القبض من مقتضيات الجلال وبذلك يظهر وجوده وإليه يبدو موجوده إذ يؤثر ما ظهر به من جلالٍ أو جمالٍ ولذلك يظهر أثر الجلال على ذاكر الأسماء الجلالية، وأثر الجمال على ذاكر الأسماء الجمالية فيقع التأثير على حسب ما حصل لكلِّ في نفسه وقد قالوا.

" إنَّ مَن كان تركيبه جلالي وذكر الأسماء الجلالية قَرُبَ عليه الفتح بها، ومَن كان تركيبه جمالي وذكر الأسماء الجمالية فكذلك ".

فاعتبار الأصل والحالة ظاهر من وجود الوقع والتأثير والله أعلم.

ثم قال ﷺ.

" **والكلُّ مضافٌ إلى الحق** ".

قلت مضافٌ إلى الحق تعالى من حيث الخلق والتقدير ومن حيث الوجود والأصل إذ لا بسط ولا قبض إلَّا بتجليه، تارةً تشرق شموس أوصافه على ليلِ وجودك، وتارةً يقبض ذلك عنك فيُردَّك إلى حدودك فالنهار ليس منك إليك ولكنه واردٌ ورد عليك، وشرح هذه الجملة يطول وإنما المقصد الإيماء لحل ألفاظ الكتاب وتبقية الوجوه لفهم المُريد أو غيره وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **ومن حيث البصيرةِ الخارقة القبض والبسط هما نتيجةً من الجلال** ".

قلت يعني أنَّ البصيرة التي تنظر بواطن الأمر وتهتدي إلى حقائقه تقتضي أنَّ الظاهر في الوجود إنما هو الجلال لأنَّ صورة الجمال محشوَّة بمعاني الجلال.

﴿ **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[1].

ولذلك كان العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قُبضوا فانظر شرح الحِكم.

ثم قال ﷺ

" **فإنَّ جلال البسط لا يكاد يُطيقُه أحدٌ من البشرية** ".

قلت لأنه يأتي بخلاف صورته، والبشر شأنه الغفلة عما وراء الصور إلَّا قليل كما قال في الحِكم.

" ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلَّا القليل، البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه " انتهى.

وهنالك معنى ألطف من هذا ملحوظٌ بحقيقة التجلي أشار إليه الشَّيخ بأن

---

[1] . الأعراف 99

قال ﷺ

لقوله ﷺ فيما يُرويه عن ربه.

" **كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به** ".

قلت أول هذا الحديث قوله ﷺ فيما يُرويه عن ربه ﷻ.

" **مَن آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أُحبه فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطشُ بها فلئن سألني لأُعطينه وإن استعاذ بي لأُعيذنه وما ترددتُ في شيءٍ أنا فاعله تردُدي عن قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه** "[1].

هكذا ورد في الصحيح فقوله حتى أُحبه أي حتى أظهر محبتي فيه بأن أكون سمعه إلى آخره.

ومعنى ذلك أن يكون تصرفه بالله ولله على وصف الفناء في الله فيُكرمه مولاه بأن يصير متصرفاً بالنيابة عنه فلا يُريد شيئاً إلَّا كان له كما نبَّه عليه في آخر الحديث.

والمقصود أنَّ معنى الحديث خارجٌ عمَّا يتوهَّمهُ المُلحد من الحلول والاتِّحاد راجع لما ذكرناهُ آنفاً وما ذكر فيه من التردد فبمعنى الرفع عنه إذ لا يصحُ فِهم التردد على بابه فلابد من تأويله بغير محال وهو ما ذكرناه أو غيره فافهم ما ذكره الشَّيخ من أنَّ سياقه جمالي في طيه أكبر الجلال تولى بيانه.

---

1 . عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ " إِن الله قَالَ: من عادى لي وليا فقد آذنته بِالْحَرْبِ، وَمَا تقرب إِلى عَبدِي بشيء أحب إِلى مِمَّا افترضته عَلَيْهِ، وَمَا يزَال عَبدِي يتقرَّب إِلى بالنوافل حَتَّى أحبه فَإِذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ، وبصره الَّذِي يبصر بِهِ، وَيَده الَّتِي يبطش بهَا، وَرجله الَّتِي يمشي بهَا، وَلَئِن سَأَلَني لأعطينه، وَلَئِن استعاذني لأعيذنه وَمَا ترددت عَن شَيْء أَنا فَاعله ترددي عَن نفس الْمُؤمن يكره الْمَوْت، وَأَنا أكره مساءته " رواه البخاري

فقال ﷺ.

" **انظر يا أخي هذه النسبة الربانية في طيَّ الربوبية** ".

قلت يعني بالنسبة ما اقتضاه ظاهر الحديث من الكرامة المقتضية للتصرف بحُكم النيابة عن الربوبية لتحقق الخلافة وما اقتضاه الباطن المعنى من القيام مع الله بِحفظ الحُرمة المخفية في طيِّ ذكر الرُبوبية السابقة في معاني الحديث كذا إذ إنه إذا كان له سمعاً وبصراً لم يكن له وجود مع وجوده ولا شهود مع شهوده ولا تَصرُّف إلَّا بِتصريفه فَوجود الإضافة أوجبُ انتفاء الكُل به وهو أكبر الجلال فافهم.

ثم قال ﷺ.

وقوله ﷺ " **إلَّا أن يتغمدنيَ الله بِرحمته** "[1].

قُلت يعني قوله ﷺ لن يُدخِلَ أحدٌ الجنَّة عمله قالوا ولا أنت يا رسُول الله قال ولا أنا إلَّا أن يَتغمدنيَ الله بِرحمته.

وَمعنى قوله إلى آخِره يعني أنَّ الدَلالة على الغرض المقصود في الحديث بجملته لا فيما ذُكر منه فقط والمقصود الاستدلال على أنَّ الجمال قد يكون محتوياً على وجودِ الجلالِ حتى أنه عين المقصود كالأول من خطاب الربوبية، والثاني من تأدُّب النبوةَ إذ لم يَحجِبه ذكر الرحمة عن عروض مقابلها وإن كان آمناً منه بوعده الصادق فافهم.

[1]. عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ " لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُه" قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال، وَلاَ أَنا إِلّا أَنْ يَتَغَمّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا "رواه البخاري

ثم قال ﷺ.

" **كلُّ ذلك جلالٌ شديدٌ في قدر طيه بسطٌ عظيم لا يكاد صاحبه يحِسُّ بالنار ولو أنه في الدَّركِ السابع** ".

قُلت أما الجلال فمن وجه المُراقبة في الأول وعدم توقف الأمر على وجود سببٍ ولا عِلَّةٍ في الثاني لأَنَّ مَن كان الحقُ سَمعُهُ وبَصرُهِ قام بِحفظ الحُرمةِ معه على حَدِّ الأنفاس مِن غير تَراخٍ ولا مُهلةٍ ولا تقصيرٍ، ومَن عَلِم أنَّ أُموره متوقفةٌ على رحمته لم يعتد بِشيءٍ من حَركات نَفسه نَفياً ولا ثبوتاً، وأما وجه البسط فواضحٌ من الأول في وجود الكرامة والنسبة، ومن الثاني بِحالة الأمر على أرحم الراحمين.

وَقوله لا يكاد صَاحبه إلى آخِره.

يعني أنَّ مَن أحسَّ بأحد الوجهين من الحديثين المَذكورين أو ما في معناهُ وسَرى ذلك فيه سَريان الحقائق في محالها غَيبه ذلك عن إحساسه المُستشعرة لوجود بشريته فيما يعرض لها من مُؤلم وملائم كما وقع لِنسوةِ يوسف الطَّيْلاً حين شَاهدوا جَمالَهُ الباهر في عَالم الأجسام, فما ظنُّك بالمقام الأعلى، وقد وقع من ذلك للسلف وغيرهم وقائع مَشهورة.

هذا بِلال ﷺ أنساهُ ما وجدَ من أُنسه بِلقاء رَسول الله وأصحابه عند مَوته ألَمُ مَوته إذ قالت زوجتُه واكرباهُ

فقال واطَربَاهُ غداً ألقى الأحبة مُحَمّداً وحزبَه.

ومعاذ ﷺ كان يُغمى عليه ويفيقُ في مرضه فيقول أخنِق خَنقكَ فوَ عِزَّتك لَتعلمُ أني أُحِبُك.

وَرابعة العدَويَّة رَضي الله عنها أصابها حَجَرٌ فَنزل الدَمُ على وجهها ولم تشعُر به فَكلَمَها بعضُ الناس في ذلك

فقالت دَعني فإنَّ ما أنا فيه من حلاوةِ الرضى أنساني الألم أو كما قالت, ومِن هذا المعنى كثير فانظره.

تَنبيه. كل ما ذُكر في هذا الفصل فهو من تَجلِّي الدائرة الأولى من القاف وهو بساط الأحديَّة المُقتضي لتداخل الحقائق في معانيها ومبانيها وظهورها وبطُونها وتَجلِّيها فافهم, ثُمّ أتى بتجلِّي الدائرةُ الثانية دَائرةُ التَصريف.

فصل

في معرفة الماضي والمستقبل

قلتُ يعني فصلٌ يُذكر فيه وجه الواقع والمُتوقع من الأمر النَفسي والمَدرك الحسِّي من مجاري الذّوق المُتوقفة على علم صاحبها الناشِئة عن الفعل والانفعال، فالانفعال مذوق والفعل مُدرك بِوجوده من حيثُ الدلالة والتأثير المُدرك بِوجود التأثر المحكوم له بحكمه فافهم.

ثم قال ﷺ.

" هي معرفةٌ محسوسةٌ مَدروكةٌ في عالم الأجسامِ وفي عالم التمييز المحسوس بالحسّ المعروف مِن الناس ".

قُلت أما في عالم الأجسام فمن حيث الإدراكات الخمس وأما في عالم المعقول فمن حيث الإحكام الثلاث، وأما في عالم التَمييز فمن حيث الطباع والأسباب والعوائد، وهذه أنواع العلوم الوجدانية الذوقية في حق كل مخصص وغيره ثُمّ لكلٍّ ذوق من نسبته على حسب ذائقه وإلى هذا المعنى أشار الشَّيخ ﷺ.

فقال ﷺ.

" وهو عامٌ خاصٌ بِحسب القابلية الإنسانية والعادة التي أجراها الله لِعباده ".

قُلت يعني أنَّ الإدراك للأمور المحسوسة والمعقولة أمرٌ عام من حيث تصورُ جملته إذ تتفق أحكامهُ كالحلاوةِ والمرارةِ في بابِ الحسيات، والجواز والاستحالة في باب العقليات لا يخفى دَرْكها من حيث الجملة على أحدٍ وإن اختلفوا في وجه

الإدراك، وقُوته وضعفهِ وكذا الرُطوبة واليبوسة وإدراك الألَم واللذة في باب العاديات فافهم.

وهو خاص باعتبار أنَّ كلَّ شخصٍ يَخصهُ أمرٌ يمتازُ به في أعيانه مع اتفاقه على الحُكم فيه كحلاوةِ العسل الذي علم تفاوت الناس فيه من استعمال بعضهم له دُون مُلكِ نفسهِ وتَثاقل بعضهم عنه حتى لا يكاد يلتفت إليه وما ذاكَ إلّا لاختلاف إدراكهم لِحلاوته وإن اتفقوا في أصل المدرك وما وَقع لبعض الناس من تَصوّرِ الجائز في معد الواقع أو المستحيل مع الحُكم بِجوازه وتَفاوتهم في المستحيل من حيث ما يُماس قلوبهم منه لا من حيث حُكمه فافهم, ثم أشار بآيةٍ كريمةٍ لِمَا ذُكر.

فقال ﷺ.

قال الله تعالى

﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾[1].

قلت وهذا نَصٌ يستغرق كل شيءٍ يتناولُه الجَعل بأنَّ له قَدراً ينتهي إليه بِحسب مرتبته الجملية ومراتبه التفصيلية وإن كان لا يُدرك تَناهيها من حيث الأنواع والآحاد فالحُكم بالتناهي مُدركٌ لاختلافِ الجِهةِ فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهذا على ثلاث مراتب** ".

قُلت يعني أنَّ مَراتب الإحساس الجُملية من حيث الجملة سواء كان الإحساسُ بها مَعقولٌ أو غير مَعقول أو من ذوات الحسِّ فأقسامهُ لا تَخرُج عن أحدِ هذه

[1] . الطلاق 3

الثلاثةِ الأقسام التي تَوجه لِذكرها والله أعلم, وقد شَرعَ في تَفصيلها عُقبَ هذا التَجميل.

فقال ﷺ.

" **الأولى مرتبة المحسوس المعروف بين الناس وهي معروفةٌ، وهي فِطرةُ الطِباع الكَثيفةِ** ".

قُلت يعني أنَّ هذه المرتبة عامة الوجود يشترك فيها كل ذي حِسّ كَثيفٍ حتى البهائمُ والحشرات إذ لها تَمييز في المُؤلم والمُلائم مِن المُتناولِ ونحوهِ وهي على مَراتبٍ في نفسِها كما ذكره.

فقال ﷺ.

" **لِكلِّ منها طَبعٌ مُلائمهُ، والفِطرةُ غالبةٌ عليه** ".

قُلت فَمن أهلِ الكَثافةِ مَن يَقبل الشيء ويَرُدَّه غيره كالشوكِ للجَملِ والحشيشَ لِغيره مِن البهائمِ واللحمِ للحيوانِ المُفترسِ وغير ذلك مما يَشهدُ باختلافِ الأذواقِ، وكذا اختلاف المنظوراتِ والمَسموعاتِ حتى أنَّ بعض الحيوانات يَتأذى برؤيةِ شيءٍ وَينتفعُ به الغير فينفُر عنه المُتألم بالطَبعِ لإحساسه الألم منه ويؤثِرهُ الآخر لإحساسه مقابله، ومَراتب ذلك على عدد أنفاس الخلائق فَضلاً عن نُفوسهم لتفاوتها فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهو مقام اشتراكٍ للخاصةِ والعامةِ** ".

قُلت يعني مِن جَميع أنواع الحيوانات كما تقدم قَريباً وتَحقيق جُمله يضيقُ عنه الوجود فكيف بتفاصيله، فافهم هذه المرتبة حَقها تجد منها نَفحة اتساع الحِكمة الإلَهية وآثار الرحمة وغيرها كالقُدرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ مِن حيث التراجم المعنوية السارية في جميع الخَلق والله يَقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم قال ﷺ.

" **المرتبةِ الثانيةِ المحسوسُ في عالمِ الأرواح** ".

قُلت يعني ما تجده الأرواح من الأمور الوجدانية التي تتأثر بها تأثر الحسِّ بالأذواق المحسوسة وذلك ما ذكره.

فقال ﷺ.

" **هي رُتبةٌ نورانيةٌ مخصوصةٌ** ".

قُلت لَمَّا كانت الأرواح طاهرةٌ قُدسِّيةٌ كانت إحساسها نُورانيةٌ لِوجود النسبة كما أنَّ إحساسِ النفوسُ ظُلمانيةٌ وإحساسُ الأجسام مثلها في الظُلمة أو أقوى لِكثافتها أصلاً وفصلاً وعرض لها الاختصاص من جهةِ أنَّ الروح غير المُختصَ بعيدةٌ عن الأنوارِ فلا حِسَّ لها منه.

﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾[1].

ثم قال ﷺ.

" **وهو حسٌّ نُوريٌ يُدرِكُه أرباب الصَفا والذكر** ".

---

[1] . النور 40

قُلتُ يُدركهُ أرباب الصفا لاتساعِ دائرةُ التجلِّي عندهم وأرباب الذكر لتنبيهٍ بما ذكروا عليه واستمداد حَقيقة ذكرهم منه، والمراد هنا بالذكر الذاكر الناشئ عن نُكتةٍ واقعةٍ دُون تَعمُّدٍ ولا مادةٍ مُتعلقةٍ أو متعلقة من حيثُ حصولها لا من حيث مَادتها، ومن هذا النور تنبعث الحقائق للجوارح وغيرها وعلامتهُ تَركُ الكُلَّ على الكلِ لِمَا في النَفس من النَعيم المُغيَّب عن كل شيءٍ سِوى ما هو فيه إن تمكَّنَ الإحساس به.

ومنه ما وقع لذلك الصَحابي الذي ضُربَ بِسهمٍ في صلاته فَلَم يَحفَل به ثُمّ بِثانٍ ولم يتَزحزح له حتى خَشي عليه المُسلمين فأيقظَ صَاحبه وقال لولا أني خَشيتُ مِن المُسلمين ما أيقظتك ولَكان ما أنا فيه مُنشغلاً عمّا أصابني[1].

وما يُروى عن عروةَ ابن الزُبير في قَطع رِجله في الصلاة ولم يَشعر بها,

وقصة بلال عند موته حين قالت زوجته واكرباهُ

فقال واطرباهُ غداً ألقى الأحبة مُحمَّداً وحزبَه إلى غير ذلك وهو كثير فأنظره.

ثم قال ﷺ.

" **وأيضاً هو مراتب عديدة لا تنحصر أعني هذه المرتبة الثانية** ".

قُلتُ يعني باعتبار جُمَلِها إذ هي بحسب تَجلِّيات الوجود وظهور الحق لكل موجود وذلك أمرٌ لا نهاية له لتعلُّقه من لا نهاية له غير أنها تَدور على الأُصولِ الثلاثةِ التي هي التجلِّي بِطريق الأفعال، والتجلِّي بطريق الصفات، والتجلِّي من جهة عظمة الذَات، وفي كلِ تجلِ ما لا مزيد عليه من المراتبِ الجملية فَضلاً عن التفصيلية فافهم.

[1] . هو الصحابي الجليل عبَّاد ابن بشر

ثم قال ﷺ.

" والناس فيها متفاوتون ومختلفون على مقاماتٍ شَتَّى لاتساعها هذه الأوراق ".

قُلتُ اختلافهم وتفاوتهم على عدد أشخاصهم إذا تجلَّى كل واحدٍ بحسبه على قدر نسبتهِ من الحق واختلافهم على ذلك، وأيضاً فإنَّ لكلِّ شخصٍ في نفسه مراتب لا يكاد يدركها النظر الجُملي فضلاً عن التفصيلي وربُّك الفتاح العليم.

ثم قال ﷺ.

" وقد تكلَّمنا فيها وذكرناها في كتاب " الأفلاك " وفي " مطالعات الشهُود " في " رسالة " وفي " الفَلك الخامس والسابع " رمزناهُ فيها كلام طويل.

قُلت هذه كُلها تصانيف له ﷺ لم نَقف على شيءٍ منها ونرجو بكرامته عند الله أن لا يحرمنا من بركتها إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

ثم قال ﷺ.

" فعليك بالوقُوف عليه والنظر فيه ببصيرةِ القلب الخارقة تلقى جميع ما ذكرناه ".

قُلت أحال على الوقوف عليها بالبصيرةِ الخارقةِ وذلك أمرٌ لا يتوصل إليه إلَّا بالله لكن سببه عُلوِّ الهمَّة.

قال الشَّيخ أبو هادي مصباح بن سعيد المغربي[1] ﷺ يوماً لأصحابه.

[1] . مصباح بن سعيد أبو هادي الصنهاجي فقيهٌ مالكي من الزُهَّاد الصلحاء أخذ عن ناصر الدين المشدالي وجماعة، وكان للناس احتفال في مجلسه وانكباب في الأخذ عنه مات بقسنطينة

" بِما يرتفع العبد لأعلى من رُتبتِه قالوا بِفضل الله, قال إنما سألتُكم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا من عند الشَّيخ

فقال يخلُق الله له هِمَّةً أعلى من همّته فيرفعه بها لرتبةٍ أعلا من رُتبته "

كذا نقله المعرِّي في حقائقه عنه والله اعلم.

وأضاف البصيرة إلى القلب لَيدِلَّ على أنَّ ذلك من بساط الفهم فإنَّ القلب قابل المفهومات، والبصيرة ناظر القلب كما أنَّ البصر ناظرُ العَين والخارقة هي التي لا تتوقف مع الوقائع وغيرها بل تنظر ما وراء المعقول والمنقول بِوجه لا يُقدح فيهما ولا فيها وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" وربما ذكرنا نوعاً من هذه المقامات في كتابٍ سَميناهُ " ساحل الإشارة ".

قلت يُحتمل قوله نوعاً منها بعض أنواعها، ويُحتمل أن يُريد ما يُضاهيها والحاصل أنَّ الإحاطة بها ممتنعة، والفهم لها بحسب المواد النورانية كما نبَّه عليه.

فقال ﷺ.

" والفهمُ في ذلك بحسب واردات القلب وبحسب النور الموضوع في باطن القلب ".

قُلت واردات القلب هي الأمور التي تغشاهُ من أنواع الحقائق والذي في باطن القلب حقيقةً أسكنت فيه من يوم التجلِّي الأكبر يوم قال تعالى.

﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾[1].

---

[1] . الأعراف 172

فكان المودوعِ في القلب كالنور في العين، والوارد كالشمسِ الواردة على البصر فلا رُؤية إلَّا ببصر، ولا تحقيق إلَّا بِنورٍ يقع به الإبصار.

قال في الحِكم.

" نورٌ مستودعٌ في القلوب مددهُ النور الوارد من خزائن الغيوب نورٌ يُكشف لك به عن آثاره، ونورٌ يُكشفُ لك به عن أوصافه " انتهى.

وهذا التقسيم الثاني جارٍ في جملةِ الأول والثاني فانظر شَرحه وبالله التوفيق

ثم قال ﷺ.

" **وأيُّ نورٍ هو يعني** ".

قُلت أنَّ النور الذي أُحيل عليَّ الفهم به، أيُّ نور هو استفهم عنه لِيؤذن بتعدد الأنوار والله أعلم ثم صرّح بموقع الاستفهام.

فقال ﷺ.

" **فإنَّ الأنوار مختلفة** ".

قلت وبِحسب اختلافها تختلف الأفهام والأذواق في الأفهام وإن تحققت الحقائق عند الجميع فليس مَن يرى الشيء بضوء النُجوم كمَن يراه بضوءِ القَمر، ولا مَن يراه بضوءِ القمر كمَن يراه في النهار، ولا مَن يراه في الغيم كمَن يراه في الشمس الضاحية، لكلِّ إدراكٍ وجهٌ يُميَّز بالذوق لا بغيره وهو بِحسب المراتب النفسانية كما ذكره الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" **نورُ الطبعِ ونورُ العقلِ ونورُ الروحِ ونورُ القلبِ ونورُ سُويداء القلب ونورُ السِر** ".

قُلت فنورُ الطبع هو الذي يحصل به التمييز، ونورُ العقل هو النور يحصل به الحُكمَ على المُمَيز، ونورُ الروحِ هو الذي تنكشفُ به الحقائق، ونورُ السُويداء هو الذي يجذب الحقائق وينجذبُ لها، ونورُ السِر هو الذي يفيد جُملة الأحكام والحقائق على وجهٍ من التحقيق لا يمكن دفعه ولا الاندفاع عنه، وكل هذه من الأمور الذوقية الوجدانية في عالم الأرواح ودائرتها وأعلاها الأخير كما ذكره الشَّيخ.

فقال ﷺ.

" **وهو أعظم الأنوار وأجلُّها وأكملُها** ".

قُلت من حيث أنَّ مُتعلّقه التَّحقيق والتَّحقُّق وذلك أمرٌ لا إشكال فيه عند مَن له فهم.

ثم قال ﷺ.

" **ولكل نورٍ من هذه الأنوار تفصيلٌ وتأويلٌ وتنزيلٌ وتحويلٌ وتنقيلٌ** ".

قُلت تفصيلٌ من حيث الأقسام والمراتب، وتأويلٌ من حيث الرسم والتعريف، وتنزيلٌ من حيث الواقع والتوجه، وتحويلٌ في مراتبه من مثلٍ إلى مثل والي أعلى والي أدنى، وتنقيلٌ من رتبةٍ إلى رتبةٍ في وجوه الأنواع والله أعلم.

ثم قال ﷺ.

" ولكلِّ مقامٍ منها شَرحٌ ما تَسعهُ الصُدور فضلاً عن السطور ".

قُلت يعني لكلِ مقامٍ من مقاماتِ ما ذُكرَ أولاً وآخراً، وإنما لا تَسعه الصُدور لاتساعه ورِقته وقصورها عن إدراك جملته من حيث وجدانِه وحقائقه وإن كانت مُدركةً له من حيث وجوده واتساعهِ والشعور بامتناعه فافهم، ثم ذكر وقع الآية.

فقال ﷺ.

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

قُلت يعني جنوده التي يُرسلها على عباده في عوالم الحس وعوالم المعاني إذ.

" النورُ جُند القلب كما أنَّ الظُلمة جُند النفس فإذا أراد الله إن ينصر عبده أمدَّه بِجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظُلم والأغيار ".

كما قال في الحِكم، وهذه الجنود معلومة الوجود مجهولة التفصيل ممتنِعة التحصيل يُدرك كل أحد منها على حسب قوته في الصفاء والتحقيق وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" فالكلمة الواحدة قد تُفهم وتُعرف معانيها من ألفِ كلمةٍ وألفِ كلمةٍ وأكثر من ذلك ألفِ ضَعفٍ قد يُفهم من كلمةٍ واحدة ".

قُلت يعني أنّ الفهم على حسب المواد القلبية والإلقاءات النفسانية على حسب المواد الموهبية والكلام ابنُ الحقيقة يدور معها في الاتساع والضِيق لأنه ابن الترجُمة إذ لا يختلف باختلافها عند التحقيق فافهم.

---

[1] . المدَّثر 31

ثم قال ﷺ.

" **فاعرِف ما أشرنا إليه** ".

قلت الذي أشار إليه هو أنَّ الدُرر من وراء الصَدف، وأنَّ الألفاظ لا تُوفِي بالمقاصد، وأنَّ حقائق القلوب هي المعتبرة في فهم التَوَجهات وأنَّ الاتساع الرباني يمنعُ الإحاطة بالوجود دَلَّ نفيها في كل ما يُنسب إليه تعالى كما أشار إليه أي القرآن في قوله تعالى.

﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾[1].

ثم قال ﷺ.

" **وقد قِيل ما يعرف المنزل غير مَن سَكنه** ".

قُلت أشار بهذا المثل لأنَّ ما ذُكر من الأتساع الهائل الذي لا ساحل له لا يعرفه غير مَن ذاق منه طرفاً ولو بالإشراف إذ ربما عبَّر عن المقام مَن أستشرف عليه وربما عبَّر عنه مَن وصل إليه ويرحم الله القائل.

وعنـــي بـــالتَّلويح يَفهـــم ذَائـــقٌ غَنـــيٌّ عـــن التَصـــريح للمُتَعنِّـــتِ

ثم قال ﷺ.

وقد قال بعض العارفين في أبيات له كَثيره من جُملتها.

" **ما يعرف المحلول غير مَن حلَّه** ".

[1]. البقرة 255

قلت يحتمل قوله حلواً أن يكون من الحل الذي هو نقيض العقد والتركيب وَهو أظهر، وقد يكون من الحلول الذي هو الدخول فيكون معناه ما تقدم والمراد بالكلِّ أنَّ هذه أمور لا تنال حقائق معانيها إلَّا بالذوق وإن أُدرِكت صورها بالعقل وباللهِ التَوفيق.

ثُمَّ قَال ﷺ.

" **وقول بعض الناس ما حَلَّ في القلب لا بُدَّه على الجسم لاح** ".

قلت قوله لا بُدَّه يحتَمل أن يكون من تتِمة الكلامِ الأول، ويحتملُ أن يكون من افتتاح الثاني، ويحتمل أن يكون منوّياً بِهما والله أعلم.

والمقصود أنَّ حقائق الأنوار المذكورة وتفصيل تأويلاتِها وتقاسيمها لها مناسبةٌ في عالم الحس تظهر على أصحابها فيُدرِكُها البصير بما عنده من نوعها، قال في الحِكم.

" ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر " انتهى.

وله شواهد وأدلَّة من حيث الجملة ذكرناها في التعاليق عليه فأنظرها إن شئت وبالله التَوفيق.

ثُمَّ قَال ﷺ.

" **فافهم ذوق الأشباح الكثيفة تَعرف بها ذوق الأرواح اللطيفة** ".

قلت يتعلق الفهم بوجود ثلاثة.

أحدُها. الاتِّساع الكثائف وعدم إدراكها من حيث هي دون ذوقٍ، ثُمَّ القصور في الذَّوق عن أنواعها في عين إدراكها على الوجه الذي أدركت به وقد مرَّ أول الفصل الإشارة إليه.

الثاني. أنَّ شواهد الصور الكثيفةَ تدلُّ على ما ورائها من اللطائف.

" **لو خَشَعَ قَلبُ هذا لَخشعت جُوارِحُه**[1].

الأسرةَ تدلُّ على السريرةِ وما خامرَ القلوب فعلى الوجوه أثره يَلوح وقول ذلك الرجل لرسول الله ﷺ فلمَّا رأيته عرفتُ أنه ليس بوجه كذّاب سيماهم في وجوههم.

﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾[2].

إلى غير ذلك وكما قيل.

دلائلُ المحبةِ لا تخفى على أحدٍ   كحاملِ المسكِ لا يخفى إذا عبقا

الثالثُ. أنَّ ذوق الكثائف من الشهوات والعشقيات وغيرها له وقعٌ يستدلُّ به على مقابلة لذلك لَمَّا قيل لذ النون.

تكلَّم لنا في محبة الله، تكاسل

فقيل له تكلَّم لنا في محبة المخلوقين، فتواجد، إذ طلبوه بما يفهمون منه ما لا تصل عقولهم إليه وهو ما طلبوه أولَّ مرةٍ فتأمل ذلك وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال ﷺ

" **وكيف نتكلم أو نقول** ".

قلت يعني وكيف نتكلم بالانبساط في تفاصيل ما ذكرناه والكلُّ يعني من وجودنا قلباً وقالباً قاصرٌ عن العبارة والإدراك.

---

[1] . عَن أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي ﷺ أَنه رَأَى رجلا يعبث بلحيته فِي الصَّلَاة فَقَالَ عليه السلام لَو خشع قلب هَذَا خَشَعت جوارحه رواه ابو عبدالله الحكيم الترمذي في نوادر الأصول

[2] . مُحمَّد 30

قلتُ يعني بوجهٍ لا يمكن رفعه أبداً ولو قلنا ما عسى أن نقول من الأمور فإنما هي دون المراد، والمقصود في باب الإشارة والإيماء فضلاً عن التصريح والتعبير وما هو كمَن يروم التعبير عن حقيقة الشَمس ووصف جلالتها كلما ازداد كلاماً فيها ظهر تَقصيره في العلم بها لأنَّ بيان الجليات يزيدُها خفاءً ويُبعِدها عن ظاهرها فَجْوٌ لأنها فيما وراء الحس المُدرك فيها فافهم.

ثُمَّ قَال ﷺ

" **والعَجزُ هو مَقام التَقصير والاعتراف** ".

قلت يعني أنَّ مَن حاله العجز فمقامه التقصير عن مدارك ما ينتهي إليه فكره لعدم إحاطته فضلاً عن سواهُ, وغايتهُ مَن نهايته الاعتراف بالعجز وَالتقصير فافهم.

ثُمَّ استدل لوجود عجز الخلق عن الإحصاء في باب الكلمة الإلَهية التي بها وجود كلِّ شيء ونفوذ كُلِّ أمرٍ وخِطاب الحق.

ثُمَّ قَال ﷺ

قَال الله تعالى

﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ** ﴾[1].

قلت وقف هنا لأنه المقصود إذ المراد تقريب الأفهام لعدم نفوذ كلمات الله لا قياسها بالبحر أو بغيره ويدل عليه قوله تعالى.

﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** ﴾[2].

---

[1] . الكهف 109

[2] . لقمان 27

فقوله تعالى.

﴿ **قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ﴾[1].

مراد الآية أنه لا نفاد لها فذكر القبلية لمطلق النفي لا لوجود الترتيب إذ لو كَان ذلك ما صحَّ التمثيل بسبعةِ أبحر تمدُّ البحر من بعدهِ فافهم.

ثُمَّ قَال ﷺ

" **تكفي هذه الإشارة لمَن كان له قلب وبصيرة نورانية** ".

قلت يعني قَلبٌ يفهم به مراتب الوجود وبصيرة يُدرك بها عين المقصود من الأتساع الإلَهي وتواصل المدد الرباني وسريان الكلمة في كلِّ شيءٍ بإيجاده وإمداده وهو سِرُّ القاف الذي هو رأس القول وبالله التوفيق فافهم.

ثُمَّ قال ﷺ

" **رجعنا إلى ما نَحن بصددهِ من الاختصار والانتقال** ".

قلت وذلك لأنه إنما قصد التنبيه على صُدور المراتب فحَسُنَ منه الاختصار للإشارة والانتقال للتنويع وكان ذلك به أولى ليبقى للمريد شيءٌ ينتفعُ به من حيثُ فتحه أو معقوله لأنَّ ما تستوفيه العبارة لا يستفيده المريد من حيث يريد فإنه قيَّد له بصورته ومعناهُ والله أعلم.

ثُمَّ قَال ﷺ

" **المرتبة الثالثة المحسوس الفعلي** ".

---

[1] . الكهف 109

قلت يعني الروح الألْقائي الذي لا مادة له ولا تعقل لنوره ولا وجهٌ لمعرفته بغير ظهورِهِ وإليه الإشارة بنفث روح القُدس في روعه ﷺ وبحديث الإخلاص.

" **سرٌ من سرّي أودَعته قَلب مَن أشاء من عَبادي لا يَطلعُ عليه مَلَكٌ فَيَكتُبه ولا شَيطان فَيفسِده** "[1].

وهو الذي قال فيه ﷺ.

" **لَم يَفْتكُم أبو بكر ﷺ بِكثرة صَلاةٍ وَلا صِيامٍ وَلكن بشيء وَقَرَ في صَدره** "[2].

فهو عالٍ عن إدراك أمثالنا من حيث جملته وعن إدراك غيرِنا من حيث تفصيله وقد أشار الشَّيخ لعدم إدراكه.

فقَال ﷺ

" وهو عالمُ الأمر ".

قلت يَعني المُشار إليه بِقوله.

﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾[3].

أي من الأمر الذي لا يحيطُ به سواه ونحو هذا ممَّا خاضه بعضُ ألائمة وأنا أتقي الخوض فيه لِمَا أخشاهُ من الخروج عن الاضمار وبالله التَوفيق.

1 . عن حذيفة عن النبي ﷺ قال " الإخلاص سرٌ من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي " رواه الديلمي في مسندة، وأحمد بن عطاء الهجيمي

2 . وفي رواية ما فضَّلكم، رواه البيهقي

3 . الإسراء 85

ثم قال ﷺ.

" مقامٌ خاصٌ مختصٌ به الأنبياء والملائكة صلوات الله على نبينا مُحمَّد وعليهم أجمعين وكذلك المقربون من العارفين والراسخون في العلم".

قلت اختصاص الأنبياء والملائكة به اختصاص أصالة, والعارفون والراسخون بالتبع لوجود الوراثة وإلَّا فلا نصيب لغير من ذكراً ولا فيه إلَّا بهم ومداره على انصِباغ حقائقهم بالحقيقة حتى لا تعقل حقائقهم إلَّا بها ولا يُمكن انفكاكهم عنها كما أشار الشَّيخ.

فقَال ﷺ.

" وهذا طبعٌ مطبوعون هؤلاء المخصوصون كما أنَّ الطبع الكثيف مطبوع عليه أرباب الكثافة من أهل الأجسام ".

قلت يعني أنه مبثوث في وجودهم كثبوت الإحساس في أهل الحواس وجَرْيَهم في طلبه كجريِّ أهل العوائد فيما لابدَّ لهم منه فَهُم لا يستغنُون عنه كما لا يستغنُون عن النفس وبه تجري أعمالَهم وتتحقق أحوالهم فالناس إذاً ثلاثة.

أهل الكثائف وقد مَرَّ الكلام على إحساسهم، وأهل الأنوار التي تخفُوا تارةً وتظهر أُخرى وقد تَظهر فلا تخفُوا وقد تخفُوا فلا تَظهر وهم أهل المرتبة الثانية, وأهل المرتبةِ الثالثة الذين عُجِنت الحَقيقةُ بِطينتِهم فلم يَنْفكُّوا عنها بِحالٍ من أول نُشوئهم إلى أبد الأبد ومنه ما وقع لبعضِهم.

" وقد كان أبن أُخته يقوم إذا قام لِصلاتِه من الليل

فقال له ليلةً نَم يا ولدي فقد أشغَلت سِرِّي

فقال الصبي وهو أبنُ ثلاثِ سنين أرأيت مَن تَجلَّ لقلبِه شيءٌ فَسجد له

قال إلى متى

قال إلى الأبد

قال يا بُنيّ نَم أو أُقعد فإنَّ خَالك لم يفهم هذه المسألة بعد " انتهى بِمعناه ولمناسبته وجهٌ وإلَّا فالأمر أكبرُ وأعظم وبالله التَوفيق.

ثم قَال ﷺ

" **وهم مقيمون فيه لا ينتقلون عنه جُملةً وتفصِيلاً قولاً وفعلاً** ".

قلت وذلك لأن حقائقهم معقُودةٌ به فلا يتخلَّف عنها وجُودهم بوجهٍ ولا بِحالٍ وإن نزلوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فَبالإذن والتمكين والرُسوخ في اليقين لا بِسوء الأدب والغفلة ولا بالشهوة والمُتعةِ نفعنا الله بهم آمين بِمنِّه وكرمه وقد سمعت بعض الفقراء يقول.

" لا يُقال في الأنبياء عليهم السلام سالكين لأنَّ السلوك إنما هو لقطع عقبات النفس وَأوهامِها، ولا يُقال فيهم مجذُوبين لأنَّ الجذب إنما هو عن ذلك فإنَّ الجذب أَخذَةُ الله لعبده عمَّا يريد لِمَا يُريده له به دون سببٍ سابقٍ وهم صلوات الله عليهم مطهَّرون من آثار النفوس ومُخالفة الحقِ في أصل النشأة بل في بِحار التوحيد مُقيمين وهو كلامٌ حَسَنٌ وبالله التوفيق، ثم أشار بأيةٍ كريمةٍ لِمَواقع التفصيل المتقدم.

فقَال ﷺ.

﴿ **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾[1].

---

[1]. البقرة **60**

قلت موقع الآية في أسباط بني إسرائيل ووجه الاعتبار فيما نحنُ بسبيله أنَّ موضع التفصيل يعرف كل أحدٍ منه ما له وما عليه ومثل هذا التوقع لا يُرفع ما نزلت فيه الآية ولا يقدح في قائله إذا كان مثبتاً لها على الوجه الذي وردت فيه إذ.

" **للقرآن ظَاهر وَباطن وَحدٌ وَمَطلع** "[1].

ولولا الإطالةِ لذكرنا ما يشهدُ لِمَا قلناه من وقائع الآية وأقوالِ السلف وإشارات الشارع وغير ذلك ولكن انظر القواعد ومتأخر تعاليقنا على الحِكم وبالله التوفيق.

والمقصود أن تَعرف مقامك ومرتبتك ممَّا تُقرِّر فخُذ ما لك ولا تدع ما ليس لك والله وليُّ الهداية.

ثم قَال ﷺ.

وَقال تعالى.

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى** ﴾[2].

قلت أتى بهذه الآية دَليلاً لأَهل المرتبة الثالثة أهل عنايةِ الحَق فإتيانه بها انعطاف على ما تقدَّم له بعد تنبيهه على تمام التفصيل وإنما أتى بها للاستدلال بها على ما يرُومه من نفي الظلمات عن أهل هذه المرتبة إذ قال تعالى.

﴿ **أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾[3].

أي عن النار في الآخرة لأَنهم مُبعدُون عن سببها في الدُنيا.

﴿ **جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾[4].

1 . أخرجه ابن حبَّان في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود

2 . الأنبياء 101

3 . الأنبياء 101

4 .النبأ 26

﴿ **سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ** ﴾[1].

﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾[2].

أي هل جزاء الإحسان بالسابقة منَّا إلَّا الإحسان باللاحقة من عندنا كذا أشار إليه الشَّيخ أبو الحسن الشاذُلي

ثم قَال ﷺ.

ومنه قولُه تعالى.

﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3].

فَجعل الرحمة وقُربها أصلٌ في إحسان المحسنين فافهم.

ثم قَال ﷺ.

" فهؤلاء طبعهم وجِبلَّتهم مطبوعةٌ بالنور وبالكشف الخارق الناشئ عن عالم الأمر ".

قلت مطبُوعةٌ بنورِ الإيمان الذي لا يمكن معه جُحُود، وبالكشف الخارق لِكُل حِجَاب الذي لا يبقى معه للحُجب وجود فلا يمكن منهم خُروجٍ عن الحقِ في حال من الأحوال، وإن جَرت عليهم سحائب الغفلات لم تقدح في شَمسِ معرِفتهم الطالعةِ في أُفق أسرارهم من العلمِ بالجلال والعظمة الذي لا يوصل إليه بوجهٍ من أسباب الخلق بل بعناية الحق المُوجِبة لنكث الحقيقة في النفسِ دون تَعمُّدٍ ولا

---

1. الأنعام. 139
2. الرحمن . 60
3. الأعراف . 56

سبب، وسريانه في كليَّةِ العبد كسريان الروح في الجسدِ المُعَبَّر عنه بالأمر الربَّاني ولذلك لمَّا سُأل بعضُهم عن الرُوح قَال.

" نكتةٌ من بارِئها اختصها من مُلكه وأسكنها في مُلكه ".

وذكر الغزالي رحمه الله في حقيقة عالم الأمر شيءٌ لا أُحِبُّ ذكرُه ولا الخوض فيه لِقلّة فهمي وضيق علمي وتوقُّفاً مع ظواهر الأحكام وحقائق العقل الذي يُؤمَّن الخطأ فيه غالباً وَبالله التَوفيق.

ثم قَال ﷺ.

قال الله تعالى.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[1].

قلت يَعني مِنَ الأمر الذي عزل عباده عن التكلُّم فيه للحديث الذي كان سبب نزول الآية إذ فيه قالت اليهود تعال فلنسأَل مُحَمَّداً ﷺ عن الروح فإن تكلَّم فيها فليس بِنبيٍّ وإن لم يتكلّم فيها فهو نبي.

وقال بعضهُم لبعض

" لا تَسألُوه لعلَّه يأتي فيها بأمر تكرهُونه فَأنزَل الله تعالى هذه الآية فاشتدَّ ذلك عليهم ".

وقيل من الأمر الذي أُخفي عن العباد علمُه واختص بعلمه سُبحانه, وقيل من الأمر الذي لا يُحاط به كما لا يُحاط بالربوبية فيكون دليلاً عليه سُبحانه وتعالى, وإلى ذلك أشار قائلهم.

---

[1] . الإسراء 85

أيـن مِنـك الـرُوح فـي جَوهَرِها هل تَراهَا هَل تَرى كَيفَ تَجُولُ

أيـن مِنـك القَلـبُ فـي قَالبِـه وَهـو بيـتُ الـرَبِ حَقـاً إذ يَقُـول

أيـن نُـور العَقـل والفهـم إذا غَلـبَ النَـوم فَقُـل لِّـي يـا جَهُـول

أيـن نُـور الشَـمس لمَّـا إن دَجـا غَيهَـب اليـل وَنَـأت للأفـول

هـذه الأنفَـاس لا تَعرِفهـا لا ولا تَـدري ولا عنـك تَـزُول

فـإذا كانـت خَبايـاك التـي بـين جَنبَيـك بهـا أنـت ضَـلول

أنـت لا تعـرف إيَّـاك ولا تَدري مَن أنت ولا كيف الفُضول

كَيف تَدري مَن على العَرشِ استَوَى أم تَقل كيف استوى كيف النُزول

وقَد سَمعتُ شَيخُنا أبا عبدالله القُوري رحمه الله يقول.

" رأيتُ للناس في مسألة الروح خمسمائة قول وذلك دليل على بُعدِهم عن العلم بالحقيقة فيها نعم، ومقصود ما هنا الاستدلال أنَّ لله أمرٌ لا يُحيط به العباد في صورته ولا مادته ولا هَيئتِه وإن علموه من حيث وجوده ومُلابسته وهو المُعبَّر عنه بعالم الأمر والله أعلم.

ثم قَال ﷺ.

" **بَينَ ويَسألُونَك وبَينَ الروحِ ألف ألف سنة** ".

قلت يَعني أنَّ بين سؤالِهم عن الروح وجوابه لهم فيه بُعدٌ لا يُدرَك من حيث منشئ البشر، إن لو كان حسياً إذ ألف ألف سنة لا يقدر أحدٌ من البشر من حيث هو منشئها ولا يُقال أراد ما بين السُؤال والجواب من السنين لتحقق وقوعه في وقت سُؤالهم ولكن أراد التقريب في المعاني بذكر الحسيّات ولا يقدح ذلك في كلامه

لبيان الأمر فيه وإنما كان بينهما هذا البعد، لأنَّ سؤالهم من عند أنفسهم وجوابه بحكم النيابة عن ربِّه على بساط المواجهة بالخطاب مع ذكر محط النيابة بسياق الأمر.

وهو قوله قل التي هي بساط النيابة على التحقيق فبين السؤال والجواب بونٌ[1] بعيد، السؤال في أسفل سافلين والجواب في أعلا عليّين، وقد يُريد السنين على بابها اعتباراً بأنَّ الجواب نزل من فوق سبع سماوات من اللَّوح المحفوظ ومقر جبريل عليه السلام الذي نزل به إلى الأرض، وقد علم أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وبين كلِّ سماء وسماء كذلك وغلظ كل سماء كذلك، وانظر ما بين السماوات والعرش ممَّا لا يعلمه إلَّا الله ومَن أطلعه الله عليه بتحقيقٍ وَهُم الملائكة والأنبياء أو كأمثالهم وَهُم الأولياء كما ذكره الشَّيخ أبو العباس المُرسي رضي الله عنه.

ثم قَال رضي الله عنه.

" ومن قوله.

﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[2].

" من الميم والراء والباء والياء كل واحدة مسافة تقصر الطيور عن الطَّيران ولو أنه كما ذكرنا من السنين ".

قلت يعني ميم من أمر ثُمّ ما بَعده، والمقصودان دلالة مَن على التبعيض في الأمر أو البيان يوضِّح من العلم بجلال الحق تعالى وعظمته ما لا يزيدُ عليه بشاهد هذا المخلوق المضاف أعني الروح ومُنتهى الأمر الراء وهو أمر لا يكادُ

---

[1] . بون المسافة ما بين شيئين

[2] . الإسراء 85

يعرف وجوده فضلاً عن موجوده، فأما راء الربوبية وباءها ووجُود الإضافة لها فَقلَّ أن يخفى أتساع علم الخلق فيها لما لا نهاية له ثُمَّ لا يُدركونه ولذلك أشارت الآية الكريمة بقوله تعالى.

﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[1].

وقال الخضر عليه السلام لِموسى ﷺ.

" ما علمي وعلمُك مِن علم الله إلَّا كما نَقص هذا العصفُور من هذا البحر ".

وكان عصفورٌ قد نزل على حرف السفينة فنقر في الماء نقرة وفي الصحيح يَقول الله تعالى.

" **يا عِبادي لو أنّ أوّلَكم وَآخِركم وإنسَكم وَجِنَّكم اجتَمَعوا في صَعيدٍ واحد وَسألَنَي كل وَاحدٌ مَسألته ثُمّ سَألَني كل واحد مثلَما سَألَني الجَميع فأعطيتُ كل وَاحد مَسألته ما نَقَصَ ذلك ممَّا عندي كما يَنقص المَخيطُ إذا غُمسَ في البَحر** "[2].

وهذا كُله على سبيل التقريب إذ الأمر أعظم من ذلك وللعصفور والمخيط نسبة في النُقص ولا نُقص فيما عند الحق لكن لتوقُّفْ الأفهام جاءت الأمثلة، وإحالته

---

1 . الإسراء 85

2 . عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تعالى "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمُكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاستكسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي إِنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرُكُمْ وإنْسُكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَر قَلْبِ رجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرُكُمْ وَإِنسكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلتهُ مَا نَقصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمخيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلّا نَفْسَهُ " رواه البخاري ومسلم.

على المسافة والطُيور والسنين على سبيل الإشارة في التقريب، وإلَّا فلا مدخل للحِسّيات في المعاني ولا يخفى ذلك على ذي إنصاف وبالله التَوفيق.

ثم قَال ﷺ.

" والمُشاهدات مَبنِّية على الطاعات والطاعات مَبنِّية على المحبة والسابقة والتوفيق المصحوب بعناية الله تعالى حسًّاً ومعنى ".

قلت لَمَّا كانت حقائق ما ذُكر من اتساع العوالم والتصرف الإلَهي فيها وما أشار إليه في عالم الأمر وغيره موقوفٌ تحقيقه على المشاهدات وأنواعها لا تنحصر فضلاً عن كلياتها وتفاصيل تجلياتها ذكر ما هي مبنّية عليه من طريق الحكمة الإلَهية وهو الطاعات لأنَّ ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشُروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار، وصفاء الأسرار على حسب إفراد الحقيقة وذلك بالعبادات والأذكار.

﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾[1].

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾[2].

﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[3].

إلى غير ذلك، ومبنى الطاعة المحبَّة، محبَّة المولَّى لعبده إذ لو لم يُحبه ما وفقَّه لطاعته، ومحبة العبد لربِّه إذ لو لم يُحبه لم يُطعهُ، ثُم إنْ أحبه أطاعه ولو أنَّ النار بين جوانِحه.

﴿ **وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾[1].

---

[1]. العنكبوت 69

[2]. يونس 9

[3]. مُحَمَّد 17

فافهم.

" والمحبة من الله سبحانه عبارة عن سبقِ عنايته وتوفيقه وهدايته فالكُلُّ منه وإليه ولكن الحكيم هو واضع الأسباب وهي لِمَن وقف معها ولم ينفذ لِقُدرَتِه عين الحجاب " كما قال في التَنوير.

ولذلك أشار الصحابة ﷺ حيثُ كانوا يقولون.

والله لـــو لا الله مــــا اهتَـــدينا   ولا تَصَــــــدّقنا ولا صَــــــلَّينا

فَــــأنزِلنَّ سَـــــكينَة علينـــــا   وَثبِّـــــت الأقــــدام إن لاقَينــــا

فَالمُشـــركُون قَـــد بَغَـــوا علينـــا   مَهمـــــا أرادوا الفتنــــة أبَينـــــا

فَأَعطوا الحقيقة حقها في عينِ أثبات الشريعةِ ومُراعات الأسباب ما ذلك ألا لوفُور أنوارِهم.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[2].

وقوله حسَّاً ومعنى راجعٌ لِظهور العِناية والتوفيق الموجب للطاعة في باب الحس والمعنى لا للجملة ولا للمحبة والله أعلم.

ثم قَال ﷺ.

" وهو عَينُ حَقيقة الحَقيقة ".

1 . البقرة 156

2 . النور 40

قلت يعني التوفيق المصحوب بالعناية هو عين حقيقة الحقيقة لأنَّ مَن لم يَهدِهِ الله ويواجه بِعنايته فقد خذله بتسليط الغُواية وذلك عنوان إرادة البلاء به, قال الله تعالى.

﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾[1].

وقالَ تعالى.

﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾.

فجعل ظواهر الأعمال عنوان الحقيقة ومقدمة المُراد.

﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾[2].

وفي هذه النكتة غَورٌ عَظيم للعارف فيه مجالٌ رَحِبٍ ولغيره فيه بَحبوحة لا يقدر على تَعدّيها ولو بجريعةِ الذقن وفقنا الله للعملِ عليهما بِمنّه وكرمهِ.

ثم قَال ﷺ.

" **وهذا المقام هو مركز الحقائق الربانيَّة الفائضة من نُورِ الحقِ** ".

قلت أشار بهذا إلى مقام الحقيقة المُقتضى لِجري الحكمة بما تجري به من تَوفيقٍ وهدايةٍ وطاعةٍ، وإنَّ مَن تَحقق بذلك فاضت على حقيقته أنوار المعارف الإلَهية إذ قد خرج عن كل شيءٍ منه وإليه ونصب وجهه لِمَن هو به وله فواجهه بما يقتضه توجُهه حسب امتنانه أولاً عليه وتحقيق آماله آخراً له ولو أنه لم ينظر

[1] . الأنعام 125

[2] . الأنفال 42

عين الحقيقة ما توجَّه للحق ولو تَوجَّه ما أستفاد غير ما وقفت وجهته عليه لأنَّ شُغل القلب صارف عن غير ما شُغل به, قال في الحِكم.

" المُشتغِلُ به هو الذي أحببته وسارعت إليه، والمشتغِل عنه هو المؤثِّر عليه " انتهى.

ثم قال ﷺ.

" **وهو نُور الأفعال الصِفَاتي الذاتي** ".

قلت يعني أنَّ مشاهدة الحقيقة ملحوظٌ من وجُود الأفعال وما يقع فيها من التصرف بأنواع الأطوار والتقلُبات الهادي لِمَا ذكرناه من الوقُوف على حقيقة الأمر في الطاعات والمشاهدات وهذا النور الظاهر في الأفعال مستَفادٌ من الصفات إذ لابدَّ من قُدرةِ الإبراز وإرادة التخصيص وعلم الإتقان، والصفة لا تَصِح بدون موصوف فوجود الذات مستشعَرٌ من وجود الصفات، والصفات من وجودِ الأفعال، والأفعال بما يجري عليها من التقلُّبات هذا على الترقِّي، فأما التدلِّي فالصفات لوازم الذات الكريمة والفعل ملزوم بالصفةِ والكلُّ راجعٌ للأصلِ الأول فليس إلَّا الله وحده ويرحم الله القَائل.

فَلم يَبقَى ألا الحَق لم يَبقَى كَائن   فَمــا ثَــمَّ مَوجُــودٌ ولا ثَــمَّ بَــائنٌ
بِـذا جَـاء بُرهـان العِيـان فَمـا أرى   لِعينـــي شـــيء غَيــره إذ أُعــاين

ثم قال ﷺ.

ومنه قولُه ﷺ في الحديث المشهور.

" **كُنتُ سَمعَه الذي يَسمعُ به وبَصَرَهُ الذي يُبصر به** "[1].

قلت نُكتة التوقيع بهذا الحديث الكريم هنا هو أنه يتحقق هذا العبد المخصُوص بأنَّ جميع ما منه وإليه ليس منه ولا إليه فتجري أفعاله على الفناء في الأفعال والصفات إذ ليس إلَّا الله وأفعاله, وأفعاله أوصافه وأوصَافه عائدة إليه فليس إلَّا هو تعالى وحده, وفي الحديث إشارة إلى أنَّ هذا أصلُ الوجُود وأنَّ الحق سُبحانه هو المُصَّرِف له بقَوله.

" كُنتُ " غير أنه يتجدَّد الشعور بتجدُّد الظُهور وهذا من طريق المعقول واضحٌ لعدم تَجدُّد أفعال الحق المُضافةِ إليه من حيث هي مُضافةٌ إليه لاستحالةِ طرد العوارض، والإعراض عليه سبحانه لا من حَيث ذَاتها فَإنها مُتجددةٌ لثبوت حُدوثِها واستِحالة قدمِها فَافهم, وفي هذا المحل يحتاج الفهم الثاقب والذهن الحاضر حتى يستفاد عين المراد رَزَقَنا الله ذلك بِمَنّه وكرمهِ.

ثم قال ﷺ.

" **نَاهِيك من هذه الخصوصيةِ وهذا هو اليَقِنُ الثَّابت** ".

قلت عَظُم أمر هذه الخصوصية من حيث ظهور نسبة الحق فيه وعليه بِفنائه عَمَّا منه وإليه في عين بقائه بما يعود نفعُهُ عليه، وقولُهُ هذا هو اليقين إلى آخره أشار به إلى أنَّ وجُود الاختصاص إنما وقع باليقين الثابتِ لا بِتجدُّد أمرٍ لأنَّ به التَجدُّد في ظهور الصفات من حيث هي لا يصِح لاستحالةِ تغيُّرها لكن التَجدُّد واقعٌ في المشاهدةِ من عدمٍ إلى ما لا يمكن بعده ازدياد وهي مراتب اليقين الثَّلاثةِ, علمُ اليقين, وعَينُ اليقين, وحقُ اليقين, كالذي يسمعُ الكلام ولا يشُكُّ أنه فُلان لِرَجل

---

[1]. سبق تخريجه

يعرفه، ثم كالذي يراهُ من وراءِ حائلٍ لا يُحجب، فكالذي يراه دُون حَائلٍ ولا حجاب فهو هو أولاً وآخِراً من حيث الحَقيقة ولا من حَيث المعرفةِ إلّا أنَّ اليقين به اختلَف وبالله التَوفِق.

ثم قال ﷺ.

قَال الله تعالى.

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1].

قلت قيل يعني باليقين الموت الذي هو متيقن وروده عند كلَّ أحدٍ وعلى هذا تَكونُ الإشارةَ هُنا إلى أنَّ هذا اليقين الواقع أولاً في كلام الشَّيخ لِمَا كان قَاضٍ بِموجودٍ لا انقضاء له لم يكن لاحدٍ توقف عن عبوديته لدوام ربوبيَّته فكما أنَّ ربوبيَّته دائمةٌ كذلك حقوق عبوديته دائمةٌ، وقد يُراد حتى يأتيك ما أنت متيقنة من وعد ربّك في كلِ شيءٍ وهي رؤيته في الدار الآخرة وما معها من النعيم له ولأُمته ولكلِّ مَن آمن به وعكسه لِمَن سواهم, وقد يُراد اليقين على بابه، وإنَّ العبادة سبب ثُبوتِ اليقين وهذا لا يَصِح في وصفهِ عليه السلام لِبُطلان انتفاء اليقين عنه فيكون هذا الخطاب مُراداً لِغيره من باب إيَّاكَ أعني وأمثاله واقعٌ كَثير.

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[2].

ثم قال ﷺ.

" اعلم أنَّ الصدقَ مع الله هو أصلُ كل خَير ".

---

1. الحِجر 99
2. الأحزاب 4

قلت لَمَّا حَضَّ على العبادة ذكر مادتها وأصلها وينبُوعها وهو الصدق, والصدقُ على ثَلاثةِ مَراتب.

أولُها صدقُ الأقوال ومُنتهاه أن تصدق حيثُ لا يُنجِيك إلّا الكذب.

الثاني صدقُ الأفعال وهو أن تكون مع الحقِ على بساط السُنَّةِ والأدب من غير خُروج لزيادةٍ ولا نُقصان.

الثالثُ صدقُ الأحوال وهو أن يكون القلبُ مواطئاً للجَوارح في جميع حركاتها فلا يُظهر خلاف ما يُبطن ولا بالعكسِ ولا يكون فيه نصيبٌ لغير مولاه ودعهُ بعد هذا يقلُّ عمله أو يكثر، وقد قال تعالى.

﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[1].

وقال ﷺ.

" **الصدقُ يَهدِي إلى البِرُ والبِرُ يَهدِي إلى الجَنةِ** "[2].

ثم قال رضي الله عنه.

وقد قال بعض العارفين.

" **مَن طلب صادقاً وصلَ إليه بأوَل خطوة وقيل أول قدم** ".

قلت يعني أنه يتهيأ له الفتح في أقربِ مُدَّةً من غير مشقة, قال أحمد بن أبي الحواري[3] رضي الله عنه.

---

1 . التوبة 119

2 . عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى الْبر، وإِنَّ الْبِر يَهْدِي إِلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِديقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُور يَهْدِي إِلى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيتحرى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا " رواه مسلم

3 . أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري 164 هـ – 230 هـ من أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري أصله من الكوفة وسكن دمشق وصفه ابن كثير بأنه أحد العلماء الزُهَّاد المشهورين والعُبَّاد المذكورين والأبرار المشكورين

" دَخلت على أبي سليمان الداراني[1] ﷺ فقال

ما جئت به يا أحمد

قلت لقد غَبِطتُ بني إسرائيل

قال بِماذا؟

قلت بِثمانمائة عام حتى يصيروا كالأوتار وكالشنان[2] وكالحَنايا[3]

فقال ما ظننت إلَّا وقد جئتَ بشيءٍ، واللهِ ما يُريد اللهُ مِنا أن تَيَّبَس جُلودنا على عِظَامنا ولا أن نصير كَالشِنان ولا كَالأوتار ولا كَالحَنايا ولا يُريد منَّا ألا صدق النِيَّة، هذا إذا صَدقَ في عشرةِ أيام نال ما نال له ذلك في عمره الطويل " انتهى.

وقال بِشرُ الحافي ﷺ.

" مَن دخل في طريقتنا يومين فقد حاز مُلكُ الدارين ".

قيل لأنه يترك في الأول الدُّنيا، وفي الثاني الآخِرة، وفي الثالث يُفرِد همَّته لربِّه فلا يبقى فيه مُتَّسعٌ لغيره بوجه ولا بحالٍ فَافهم.

ثم قال ﷺ.

" والصِدقُ هو سَيفُ الحَق قَلَّده الله أربابَ الحق ما وُضِعَ على شيء إلَّا قَطَعه ".

قلت هذا واضحٌ ويشهد له ما ورد، الصدق سيف الله في الأرض ما وُضِعَ على شيء ألَّا قَطعه, وقوله تعالى

---

[1] .أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني 140هـ –- 215هـ من أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري من أهل داريا قرية من قرى دمشق في سوريا وصفه الذهبي بالأمام الكبير، زاهد العصر

[2] . الشن الجلد البالي

[3] . الحنايا الأضلاع

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[1]."

وحكمة ذلك أنَّ الصادق لو تبقى فيه بقيَّةٌ لنفسه فتولَّى الحق أمره لخروجه عن نفسه، ومن أعظم مواقفُ الصدقِ، الصدقُ في العُبودية بإسقاط التدبير كما أشار إليه بعضهم حيثُ قيل له.

" فَوّض أمرك إليه

فقال ليس لي أمرٌ حتى أُفوِّضَه إليه ".

وقال عليه السلام

" **التَدبير نِصفُ العَيش** "[2].

قيل فتَرْكُ التَدبير العَيش كُلَّه لأنَّ مَن لم يُدبِّر دُبِّرَ له.

ثم قال رضي الله عنه.

" **ولا تُطيق الموجودات مقابلته ولا قُوَّته أعني مفاجآت الحق للعبدِ مِمَّا يَبدُوا له من الشهود والوجود الذي يحصل من الله لعبده** ".

قلت يعني أنَّ الشهود والوجود الحاصل للصادق الباعث له على صدقه لا يقدر أحدٌ على مقابلته ولا احتمال قُوته، فلِذلك إذا صدق الصادق في أمر توجه له لو يُقم له شيء، كما ورد في الحَديث من إنه عليه السلام كان

" **لا يَغضَب إلَّا لله** "[3].

[1] . النمل 62

[2] . عن أنس بن مال قال، قال رسول الله ﷺ " التَّدْبِيرُ نِصْفُ العَيشِ، والتَّودُّد نِصفُ العَقْلِ، والهَمُّ نِصفٌ الهرَمِ، وَقِلَّةُ العِيَالِ أحَدُ اليَسَارَيْنِ ".مسند الشهاب للقضاعي وابو منصور الديلمي في مسند الفردوس

[3] . رواه الطبراني عن ابن عباس

فإذا كان ذلك لم يَقم لغضبهِ شيء وكذلك وَردَ في وصف الصِدِّيق ﷺ وهي رشفةً من بحره ﷺ ثُم من بعدهم رشفةً من بحر الصدِّيق في ذلك على حسب المراتب، ولو أنَّ صادقاً مِمَّن مضى جرى منه شيءٌ لأَكبرَ صادقٍ في هذه الأزمنة ما أطاق مقابلته ولا ثبت لقوته لأَنه ناطقٌ بالحقِ في بساط النيابة عن الحق على حدِّ المُواجهةِ وقُرب الخِطاب من محل تَنَزُّله فَافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهو تجلِ من تَجَليات، وهو نوعٌ من تجلي الحق** ".

قلت يعني تجلي الصدق الذي كان سبباً فيه ومصحوباً به, ومعنى قولُه من تجلياتٍ، أي من أنواع التجلي إذ هي كثيرةٌ لا تُحصى ولا تُعد ولا تُقاس بالمقاييس كما تقدَّم، وقولُه هو نوعٌ من تجلي الحق يعني من تجلي اسمهِ تعالى الحق لأنَّ كلُ شيءٍ لا يقف دونه.

قال تعالى.

﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾[1].

أي تالفٌ مُضمحلٌ, قال في الحِكم

" متى وَردت الواردات الإلَهية إليك هَدمت العوائدَ عليك

﴿ **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا** ﴾[2].

الوارد يأتي من حضرة قهَّارٍ لأَجلِ ذلك لا يُصادمهُ شيءٌ إلَّا دمغهُ, ثُمّ ذكر الآية، وقد أشار بعض المشايخ إلى أنَّ الصدقَ مصحوبٌ بالجَلالِ آخِذاً من قَولُه تعالى

---

[1] الأنبياء 18

[2] . النمل 24

﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾[1].

وهذا بابٌ واسع، والمقصود التَنبيه على صدر المرتبةِ وبالله التَوفِيق.

ثم قال ﷺ.

" **والله المُوفق للصواب** ".

قلت في كلِّ مَقامٍ علماً وعَملاً، حالاً و مَنالاً فَكم من مُوَفَقٍ لأمرٍ هو فيه على غير الصواب نَعوذ بالله أن نضلَ في هدْيِ الله أو نزيغَ بعد الهُدى وهو حَسبُنا وَنِعم الوكيل.

---

[1] . القمر 55

خَاتِمة

احتَوى هذا الباب على علومٍ كثيرةٍ أُمهاتُها سبعة

أوَّلُها. علم عظمةِ الحقِ في إبداءِ الموجودات، وإيقاف أحكامها وارتباط بعضها بِبعض حتى أنَّ أضعفها وهو الحرف له سريان في علم أعلاها جُملةً وتفصيلاً بوجهٍ تُحارُ فيه العُقول ويسري في كل محل من الاعتبار.

الثَّاني. علمُ حكمةِ الحقِ في ايجاد الموجودات وفائدةُ ذلك ومقصودهِ ومُراد الحق به ومنهُ وَمُنتهاهُ وغايتهُ.

الثَّالث. علمُ الأمر الذي وقَع به نفوذُ الكلمة في الوجود، ونفوذ الكلمة وتَناسُبُ الوجود ومُناسبته لِشواهد الأمر الإلَهي الذي لا محيد لِشيءٍ عنه وهذه الفُصول الثلاثةِ في الفصلِ الأولِ واضحة.

الرَّابِع. علمُ الواقع في الوجودِ من ماضٍ ومستقبلٍ بِمراتبهِ الحِسِّيَّة والمعنويةِ والمَعقُولةِ والتي وراء طَورِ العقل.

الخَامس. علمُ ما تُفيدهُ مِن الحَقيقة والتَحقيق وما تَجري به من الفَوائدِ وما يُفيدُها وأنواع ذلك وترَتِيبه.

السَادس. علمُ التوجه وما يترتب عليه من الفائدة، وما يقصَد له أو به أو يَكونُ ناشئاً عنه وما يبدوا فيه من الحقائق العرفانية والشواهد الحاليةِ وهذه الثلاث في الفصل الثاني على ترتيبها.

فَأما السابع. فهو علمُ عظمةَ الحقِ وجلاله المبثوث في كلِّ ما ذكر من أوّله إلى آخره فَتأمّل ذلك.

واعلم أنه ﷺ إنما ذَكر من كلِّ مرتبةٍ صدرها، ومن كلِّ مقامٍ نُكتتهُ ولا يسعه غير ذلك إبقاءً لمواقع الأفهام وقِياماً مع الاختصار لِضُعفِ هِمَمُ أهل الزَمان والله أعلم.

الباب الثاني

في الحَرف الجَمع لأنواع الخَلق والحق

قلت قولُه أنواع الخَلق والحَق يَعني الأنواع الجَاريةِ مِن الخلقِ والجارية من الحق ويتضح من تفاصيل ما يُذكر بعدُ إن شَاء الله.

ثم قال ﷺ.

" **وهو عينُ كلَّ عين** ".

قلت يعني وهذا الحرف هو عينُ كلَّ عَين باعتبار أنه جارٍ في الأعيان، أي الكلُّ فيه موقع على أعيان الأعيان وهي الموجودات من حيث الحق إلَّا بما يَدعو إليه ذلك، وفارق هذا الذي قبله بأنَّ ذلك فيها من الله إلى الله أو من الله لعبده وهذا فيما من العبدِ إلى الله أو من العَبدِ إلى العَبد وإن كان الكل من الله فلِلْنسب ملاحظات، وللحقائق تداخل، ولِلأَحكامِ وجوه وبالله التَوفيق.

ثم قال ﷺ.

قَال الله تعالى

﴿ **كهيعص** ﴾[1].

قلت اختلف العلماء في موقع هذه الحُروف الخَمسة كاختلافهم في غيرها من الفواتح، فذهب بعضهم إلى إنها من المُتشابه الذي انفرد الحق تعالى بعلمه وقد يُعلِّمَه مَن شاء من خلقهِ على الصحيح لكنَّ الجزم بحقيقة معناهُ مُمتنعٌ اجماعاً لِجريه مجرى الرمز الذي لا يوصل إليه إلَّا بإخبارِ واضِعهِ عن طَريق قَطعي وهو

---

[1] . مريم 1

الشَّارع صَلوات الله وسَلامه عليه ولم يُرد عنه شيء فوجبَ التوقفُ عن الجزمِ قَطعاً، وبقيَ الكَلام في وجُوه الاحتمال وهو سَائغٌ لِمَا ورد عن السلف فيه فقد ورد عن عليٍّ كرَّم الله وجهه أنه قال.

" لو شِئتُ لَوقَرتُ من معاني هذه الآية سبعين بعيراً ".

وكذا قال في الفاتحة وكان أيضاً يقول.

" إنَّ هاهُنا لَعلوماً جَمَّةً لوجدتُ لها حَملة ويُشير إلى صَدره ".

وفي الصَحيح أنه قال لَيس عندنا إلَّا ما في هذه الصحيفة أو فِهْمٌ يُؤتَاهُ عَبدٌ في كتابِ الله[1]، والفهم في كتاب الله غير مُتوقف على نوع إذا أثبت أصل الحُكم وروعي مَعنى الحكمة، وكان المفهومُ مُؤيداً بِالأدِلةِ الشَرعية والشواهد العقليةِ التي لا تقدح في لَفظٍ ولا تُرقَّع حكمةٍ ولا تَرفع حُكماً ولا تُغيّر حَقيقةً ولا تَرد ثَابتاً بِعُرفٍ ولا غيره وسواءً في ذلك المُتقدم والمُتأخِر، ويَرحم الله أبن مالك الطائي حَيث يَقُول.

" إذا كانت العلومُ مِنَحَاً إلَهيَّةً ومَواهبُ اختِصاصية فغيرُ مُستَبعدٍ أن يُدَخَّر لِبعض المُتأخرين ما عُسِرَ على كثيرٍ مِن المُتقدمين نعوذ بالله من حسدٍ يسدُ باب الأنصاف ويصدُ عن جميل الاوصاف " أنتهى.

والحَاصل أنَّ هذه الحُروف المذكُورة من المتشابه الذي نُؤمن به كما هو ونَأخذ منه بحسبِ ما يعطيه الاعتبار على أقدارنا ما يفتح الله به غير جازمين بأنَّ ما نذكره من المعنى فيه أنه حَقيقةَ مَعناه, الواقع في علم الله أو المُتعين الذي لا يصِح سواهُ مع تجنُب ما تأبى القواعد الشرعية قبولهُ وبحسب هذا فلا عتب وبالله التوفيق.

[1] . عن وهب بن عبدالله قلت لعلي بن ابي طالب هل عندكم شيءٌ من الوحي إلّا ما في كتاب الله، قال لا والذي فلق الحبَّ وبرء النسمة ما أعلمه إلّا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاكُ الأسير وأن لا يُقتل مسلِمٌ بكافرٍ " صحيح البخاري

ثم نجري على ما فهمناهُ من سياق الكلام في هذا الكتاب فنقول.

اعتبر هذه الحروف من كلماتٍ تدلُّ عليها، فالكاف من بساط الأمر في قوله كن وإن لم تكن، ثم كافٌ ولا نُونٌ وهذا هو المعنى القائم في الوجود من حيثِ الإيجاد.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1].

والهاء مُعتبرة من حيثُ الهِداية في الجملةِ لأَنها تالية التكوين.

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثم هَدَى ﴾[2].

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾[3].

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[4].

والياء معتبرةٌ من حيث إنها للإضافة، إضافة كل شيءٍ إليه من خلقٍ وهدايةٍ من حيث الحقيقة واعتبار النسب والإضافات في الوجود في الخلقِ والهداية فهي المرتبة الثالثة مِن المظاهر.

والعين معتبرة من حيث أنها دالةٌ على العبوديةِ لأنَّكَ إذا أضفتَ كل شيءٍ له اعتباراً بأنه هاديه وخالِقه فهو عبدٌ له وهذا هو سِرُّ الإيجاد

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[5].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[6].

---

1 . يس 82

2 . طه 50

3 . الأعلى 2 ، 3

4 . البلد 8 ، 9 ، 10

5 . مريم 93

6 . الذاريات 56

والصاد معتبرة من حيث أنها دالةٌ على الصدق الذي به تظهرُ مراتب العبيد، فمَن صدق في العبوديَّةِ فقد قام بحقِ الربوبيَّة ومَن لم يصدق في العبوديَّة فقد أهمل حق الرُبوبيَّة والحقُ تعالى صادقٌ وعده لِمَن أطاعهُ بالثُبوت ولِمَن عصاهُ بالعقابِ ولِمَن شاء بظهورِ الكرمِ في التَّوبةِ أو بالغفرانِ في المآب إذ

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾[1].

واعتبَ هذا بأنَّ منتهى أمرُ أهلِ الجَنَّةِ الحمدُ على صدق الوعد

﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[2].

وقَولُه تعالى

﴿ **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ** ﴾[3].

وقَوله سُبحانه

﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾[4].

ثم إذا اعتبرتَ بما ذكرناه وجدتَّه مبثوثاً في كلِّ قصةٍ من هذه السورة بجملته على الترتيبِ والعكس وغيره من وجوهِ النَّظْمِ الجميلة وبالله التَوفيق.

ثُم قال ﷺ

" أوّل بروز الربوبيَّة ".

---

[1] . النساء 48

[2] . الزُمر 74

[3] . الذاريات 5 ، 6

[4] . الأنعام 115

قلت يعني ظهور معانِيها للخلق من حيث التعريف ظهر من سِرّ التَكوين لأنَّ الحق لا يوصل إليه إلَّا بِدلالةِ الخلق من حيث الأثبات والتنزيه لا من حيث الإحاطةِ والكيف، إذ لا كيف ولا إحاطةَ.

ثُم قال ﷺ

" **والتَكوين ظهر من سِرِّ النون** ".

قلت يعني أنَّ مبتدأ الظهور عند مُنتهى الأمر بلا مهلةٍ وإلَّا فلا كافٌ ولا نونٌ إلَّا من حيث تقريب العبارةِ عن الأمر بالتكوين فمنتهى الأمر ظهور الفعل، وظهور الفعل أوّلُ دلالته على الأمر أعني قولُه للشيء كُن فيكُون.

ثُمّ قال وهو يعني الظهور المذكور متكرر الفعل والقول يعني أنَّ وجود الأفعال دائمةُ التجدد والأمر بها دائم التوقع وإنْ كان الكلام الذي به الأمر غَيرُ متجدد لقيامه بالقِدَم فمُتعلّقهُ متجدد َبَسطُ ذلك وفِهمهُ من علم الكلام فَلينظُر فيه.

ثُم قال ﷺ

" **وهو نتيجة الحَق مَع الخَلق** ".

قلت يعني أنَّ التَكوين بالأمر هو الذي برزَ للخَلق من وجود الحقِ فَأنتجَ لهم رؤيته معرفة جلال الحق إذ لا يعرفونه إلَّا من حيث الخلق والأمر ولا يعبدونه إلَّا بأمره لأَنهم خلق، فالذي منه لهم هو الذي توجهوا به له وإليه تنتهي مَعرفتهم وأعمالهم وعُبودِيتهم ومَواجِيدهُم وغيرها فتأمل ذلك.

ثُم قال ﷺ.

" **وهي حضرةٍ جامعةٍ لجميع أنواع المَوجودات من كلِّ أيِّ حضرةٍ شئتَ وأيِّ نوعٍ شئت** ".

قلت يعني أنَّ حضرةَ الأمر والتكوين جامعةٌ لجميع الموجودات الجائزةِ الوجود مطِيعها وعاصِيها كائناً ما كانت وبأي وِجهٍ ظهرت, قال في الحِكم.

" نعمتان ما خرج موجودٌ عنهما لكل مكونٍ منهما نِعمةُ أيجادٍ ونعمةُ إمدادٍ أنعم عليك أولاً بالإيجادِ وثانياً بتوالي الإمداد ".

قال ابنُ اللَّبَّاد[1] رحمه الله.

" إلَهي جَلَّت عَظَمَتُك عن أن يَعصِيك عَاصٍ أو ينساك ناسٍ لكنك نفخت رُوحاً من أمرك في أَسرار الكائنات، فأطاعكَ العاصي بِعصيانه وذكركَ الناسي بِنسيانه، إن عصى العاصي داعي إيمَانك فقد أطاع داعي سُلطانك

﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾[2].

﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[3] " انتهى.

وقال أبنُ عطاء الله ﷺ في مناجاته.

" إلَهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزمُ وأنت الأمر " انتهى.

فتأمله وبالله التَوفيق.

[1] ابن اللبَّاد 1162 م – 1231 م هو. عبد اللطيف بن يوسف بن مُحَمَّد بن علي بن أبي سعد المُكنى بموفق الدين وأبو مُحَمَّد ويُلقب بابن اللبَّاد ولد في بغداد في دار جده بدرب الفالوج ببغداد، وهو من أصل موصلي

[2] . الإسراء 44

[3] . الأنعام 149

ثُم قال ﷺ.

" **يفهمُ ذلك مَن فَهمه ويَجحَدُه مَن جَحِده** ".

قلت يعني أنَّ ما ذكره من ترتيب التجلي وعمومه في كلِّ نوعٍ وفي كلِّ حَضرةٍ منَ الأنواع قَصُرت عنه أفهامُ بعضَ الناس وأدرَكه آخَرون فكانوا بين مُنكرٍ وقابلٍ ولكلٍّ حُكمُه في مقامِه وحَالِه ورُتبته وكلٌّ على كماله في حالهِ وهذا ما بَيَّنه.

ثُم قال ﷺ.

" **والجَاحد لِمَن يُوحى إليه شيءٌ مِن هذا الكلام وما يفهمُه هو معذورٌ مُسَلَّمٌ له حاله من باب الضعف والتقصير والسلامة وهو مؤمنٌ إيمانُ الخائفين، ومَن يفهمُ شيئاً من ذلك فهو لقوةِ إيمانٍ معه واتساع دائرةُ مَشهده مَشهدٌ واسع** ".

قلت الوحي الإلقاء بسرعة، والمراد به هنا وحيُ الإلهامِ لا غيره إذ لا يَصِح في غيرَ الأنبياء سِواه، ثُمّ جواز الاطلاق لمثل هذا عند مَن لا يُوهِمه اختلاف ذكره الأصليون فأنظره، فأما غير مَن يُوهمه فلا خلاف في منعه والله أعلم.

وقُوله وما يفهمه قلت فما هنا نافية، أي والحامل له على جحدهِ عدمِ فهمه، وباقي كلامه واضحٌ وفيه أنَّ المُنكِر بِحقٍ كالمُصدِّق بِحقٍ ما لم يُخالِطه هَوىً والله أعلم.

وقُوله ومَن يفهم شيئاً من ذلك، فهو لقوةِ إيمانٍ معه لأنه لا يفهمه إلَّا بعد تسليمه واعتقاد صحته والإيمانُ به إيمانٌ بالفتحِ فلا يكونُ إلَّا بفتحٍ ولا فَتح إلَّا من قُوةِ إيمانٍ، كما قال ابن عطاء الله ﷺ.

" في قولهم الإيمان بِطريقتنا هذه وِلاية ".

واتساع الدائرةِ دَلَّ على عدم تَقَيُّده بالوهميات.

وقُوله مَشهدهُ مَشهدٌ واسعٌ, يعني في دائرةِ النظر لأَنهُ لو لم يجوز فتح الحق لعباده لَمَا تَفَهَّم ما يفتحُ به عليهم ولَمَّا اتسع نظره تَفَهَّم حتى فَهِمَ، ودَعْهُ في أيّ مرتبةٍ كان كما نَبَّه عليه الشَيّخ.

ثُم قال ﷺ.

" **سَواء كان معه نورٌ أو ظُلمةٌ** ".

قلت يعني سواء كان مُتصِفاً في ظاهره بالخيرِ والصلاح أو ضِد ذلك فإنَّ ذلك لا يقدح في اتساع دائرةِ نُوره ولا ينقُص منها، وغاية ما في حال مَن اتصف بذلك مع عصيانه أنَّ نُوره على ظاهر قلبه لا في سويدائه وقد قال بعضُ العَارِفين.

" إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبدُ مُحبَّاً للآخِرة والدُنيا وكان مرةً مع الله ومرةً مع نفسه فإذا دخل الإيمان باطِنُ القَلب أبغضَ العبدُ دنياهُ وهجر هَواهُ " انتهى.

ومداد ذلك على أنَّ القوالب لا تَقدح في الحقائق كما أشار إليه الشَّيخ ﷺ.

إذ قال.

" **بِحسب ما في القوالب من الودائع الموضوعةِ على أيّ صفةٍ كانت** ".

قلت إنَّ ظواهر الأعمال حُسنها وقَبِيحها ودائع الحق في الجوارحِ وكلاهُما علامتان، والعلامة لا توجب شيئاً ولا تنفيه ولكنها تَدلُّ على وجوده ونفيه.

" **اعمَلُوا وَكُلٌ مُيَسّرٌ لِمَا خُلقَ له** "[1].

وليس العلمُ بدليل على العمل ما لم تظهر نتيجته به ولو كان ذلك لَمَا ضَلَّ إبليس ولا بلعم ولا غيرهما، كما إنَّ العمل غيرُ دالٍ على الحقيقة بذاته ولو لا ذلك

---

[1] . اخرجه مسلم

لَمَا ضَلَّ بَرصِيصٌ ونحوه، رزقنا الله العافية في كل علمٍ وعمل إنه ولّيُ ذلك والقادرُ عليه وهو حَسبُنا ونِعمَ الوَكِيل.

ثُم قال ﷺ.

" قال الله تعالى

﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ** ﴾[1].

يَعني فطرته التي صبغ بها الأرواح في يوم الميثاق يوم.

﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾[2].

فلم تَبقى رُوحٌ إلَّا سَرى فيها من التَوحيد ما أوجبَ الحُجة عليها إلى الأبد إذ قال تعالى

﴿ **أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[3].

فَجعلَ ما وقَع إذ ذاك من الشَهادة والأشهاد حُجةً على مَن يجحَد يوم المِيعاد ولولا انصِباغ الحَقيقة به لَمَا صَحَّ بَقائَه للأبدِ مَطبوعاً فيها حتى يكون حُجةً عليها ومن ثَمَّ لا يُعذَر أحدٌ في الجَهل بباريه وإنما بعثُ الرُسل للتذكير بذلك الأَصل وإثباتِ الأحكام والأخيار عن تَخصيص أحد الجَائزين من أمر الدِّين والدُنيا.

﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾[4].

﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾[5].

وفي الصَحيح.

---

[1] . البقرة 138

[2] . الأعراف 172

[3] . الأعراف 172

[4] . إبراهيم 10

[5] . الزُخرُف 87

" **ما من مَولود إلَّا ويولَدُ على الفِطرة** "[1].

وقَوله تعالى

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً** ﴾[2].

تَحريضٌ على التَمسُّك بها فقد قال مُجاهد ﷺ.

" صِبغَة الله يعني فِطرة الله التي فَطَر الناس عليها ".

قال الزَجَّاج[3]

" وقوله هذا يَرجع إلى الإسلام لأنَّ الفِطرة هي ابتداء الخَلق، وابتداء الخلق ما خُلِقوا عليه، الإسلام ".

وعنه مع الحسن وأبي العالية وقَتَادة

" هي الدِّين وقيل الصِبغة القربة ".

وقال ابن عباس ﷺ.

" هي في مقابلةِ صبغةِ النصارى التي يجعلونها للدخول في دينهم أي دين الله بدلاً من دينهم ".

وبالجملة فالأقرب لكلام المؤلف إنما هو الجري على قول مُجاهد الأول إذ إنما أتى بها دليلاً على حالتي الجاحدِ والقابل وما هما عليه من انصباغ الحقيقة بالأيمان الذي فطر عليه كل واحد منهما أعني إيمانُ الخائفين وإيمانُ العارفين،

---

1 . عن أبي هريرة أيضا قال، قال رسول الله ﷺ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا ويُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ. فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تَنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ وَهَلْ يَحُسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ " رواه مسلم

2 . البقرة 138

3 الزجَّاج 857 م – 923 م أو أبو إسحاق الزجَّاج أو أبو إسحاق إبراهيم بن محَمَّد بن السِري بن سهل الزجَّاج البغدادي صنف العديد من الكُتب أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب تفسير اسماء الله الحُسنى

وإنَّ ظاهر الفعل لا يقدح في باطن الحقيقة لأنه عارض والحقيقة أصلٌ والعوارض لا تدفع الأصول فافهم.

ثم أخذَ يتكلم في تفصيل ذلك.

فقال ﷺ

" **الصبغ ما ينقل من شيءٍ إلى شيءٍ بحيث أنَّ حقيقة الانتقال تسقط** ".

قلت قوله من شيءٍ إلى شيءٍ يعني من وصفٍ إلى وصف بحيث يصير الأول مغموراً في الآخر على وجه لا يشعر به الأول معه لاستهلاكه في الثاني وهذا معنى قوله أنَّ حقيقة الانتقال تسقط وذلك باعتبار ما ذكر واضح من جهة أنَّ ظهور الربوبيَّة يُفني وجود العبوديَّةِ كما قال في الحكم.

" لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ".

وقد كان أصل الوجود النقص المطلق والعدم المحقق فلمَّا تجلى له الحق سبحانه بما قضى له بمعرفته ذهب نقصه بعرفانه فصار له كمال لا زوال له لتعلقه بمَن لا يزال ولا يزول فكان صبغاً ماحياً لكلِّ وصفٍ نقص ثابتاً لا يتحول ولا يشعر معه بوجود الأصل والله اعلم.

ثم قال ﷺ

" **هذا هو الصبغ الحقيقي الرباني لا فرق بينه وبين ما ينتقل عنه** ".

قلت يعني أنه يصير الوصف الثاني كالأول في انطباعه بحيث لا يمكن زواله ولا نقصه ولا يشعر أحدٌ بعوضِيَّته إلَّا مَن عرف ما كان قبله فافهم.

وقد قال الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

" فائدةُ الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الأزلية بجمعٍ لا يتفرقُ وأمرٍ لا يتعددُ كأنها صفةٌ واحدةٌ قائمةٌ بذات الواحد أيستوي مَن تعرف الله إليه بنوره كمَن تعرَّف إلى الله بعقله " انتهى.

وفيه تنبيهٌ لِمَا ذكرناه فتأمله ثم قَصْدُ الشَّيخ ﷺ لتقريب التمثيل ولله المثل الأعلى.

فقال ﷺ

" **وكذلك الصبَّاغ إذا صبغ شيئاً عن شيءٍ انتقل من أصفر وأحمر وجميع الألوان** ".

قلت يعني أنه وجد في الشاهد انتقال المصبوغ بصبغهِ إلى صفةٍ لا يمكن زوالها منه اذ صارت كالذاتي له مع أنَّ ذلك مُحصل بطريق الكسب والعادة التي عندها لا بها كما أشار إليه

إذ قال ﷺ.

" **فهذا صبغٌ كسبي وهو ناءي**".

قلت يعني بعيدٌ عن مرتبة الصبغ الحقيقي لأنه لا يتوقف على أسباب ومواد وعوائد وغيرها وبعيد الوقوع أيضاً في ذاته لتأخره عن مواده والله اعلم.

وكأنه نبَّه ببعده على عظمةِ الصبغ الحقيقي إذ ليس بِناء وإنما هو سريعٌ في فعله قريبٌ في وقوعه والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **وهو فيه تشبيه للصبغ الحقيقي ومحاكات ورُبَّما يُحاكيه** ".

قلت يعني باعتبار عدم تبدله ونقله للمصبوغ وقيامه بمحله الذي جعل فيه إلى غير ذلك ولا فرق بينهما إلَّا من حيث أنَّ هذا بالمواد والأسباب وذاك بيد القدرة من غير اكتساب وإن كان الكُلَّ إنما يقع بالقدرة فللنسب وجهٌ واعتبارٌ والله اعلم.

ثم قال ﷺ

" **والصبغ أنواعٌ كثيرة** ".

قلت يعني باعتبار صورهِ ومُتعلّقِهِ لا باعتبار توقيعه اذ قد تقدم كونه كسبياً أو القائياً وهذا باعتبار أنواع الصباغ في نفسه والمصبوغ به والله اعلم بدليل تفصيله وذلك.

إذ قال ﷺ.

" **منها صبغ الأجسام يعني الكثيفة الظاهرة ثم قال**

وهو أنواع عديدة مثل الثياب والحجارة وجميع العروض من النُحاس والحديد والرصاص والقصدير وجميع المعادن الجامدة والمائعة جميعها من المطاعم والمشارب من حيث الجملة والتفصيل ".

قلت يعني أنَّ ذلك كله يقبل الصبغ بل ما هو عليه من الصفات عين صبغه وذلك بحسب كل موجود في وجوده، فأنواع الصبغ إذا لا تنحصر باعتبار أشخاصها وإن انحصرت باعتبار أنواعها بل لا تنحصر باعتبار أنواعها وإن انحصرت باعتبار أجناسها حتى لقد قيل من اتساع التصرف الإلَهي أنه ما انفق اثنان قط في طبيعة واحدة من جميع الوجوه ولا مشى اثنان قط في طريقٍ واحدةٍ وإن اتحد المَسلك لأنه لا يأتي قدم الثاني على قدم الأول في جميع المواضع وجميع الوجوه أبداً فسبحان الواسع العليم.

ثم قال ﷺ.

" وصبغةُ الأرواح هي خروج من الظُّلمة إلى النور ".

قلت لَمَّا أبان عن حقيقة الصبغِ وذكر أقسامه وقوابله وأشار إليه في عوالم الجسم ذكر مقصوده بذلك كله وهو صبغة الأرواح، وما ذُكِرَ قبله ما ذِكرٍ إلَّا ليفهم مُراده به كما قال فيما قبل هذا، وإنَّ ذوق الأشباح الكثيفة يفهم به ذوق الأرواح اللطيفة ثم صبغةَ الأرواح التي هي الخروج من الظُلمةِ، ظُلمة الهوى إلى النور، نورُ الهدى تارةً تكونُ عن سببٍ من العبدِ وتارةً تكونُ مِنَّة الحق دون واسطة وهذا ما نبه عليه.

فقال ﷺ.

" وصبغة الحق للخلق لا تتغير ".

قلت يعني أنَّ ما كان من خزائن العطايا والمِنن لا يمكن تبدله ولا زواله فمَن تاب الله عليه لا يمكن رجوعه عن التوبة، ومَن نَوَّر قلبه لا يمكن رجوعه إلى الظلمة لأنه بكلمةِ لا تبديل لها دون واسطة

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[1].

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾[2] فافهم.

ثم قال ﷺ

" وصبغة الخلق للحق تغيير ".

[1] . الحجر 42

[2] . الكهف 17

قلت يعني وما فَعله الخلق واتصفوا به لأجل الحق قد يتغير لأنَّ ذلك صدرَ من بساطٍ متغيرٍ فلذلك قيل

" مَن تاب من عند نَفْسه يمكن انقلابه، ومَن تاب الله عليه لا يمكنه الرجوع، لكن التوبة منك له تَعرَّض لنفحاتِ رحمته لحديث

" **إنَّ الله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لنفحات رحمة الله** "[1].

والتوبة منه لك إيجادٌ ولا تبديلَ لكلماتِ الله، ثم التعرض للنفحات من باب تطلب الموافقة كما نَبَّه عليه.

فقال ﷺ.

" **وفي بعض النوادر قد تُصادف صبغة الحق فتثبت على ذلك** ".

قلت يعني أنَّ ما يتصفُ به العبدَ من الأنوار وأصبغ به وجوده قد يصادف ما صبغه الحق تعالى به فلا يُمكنه تبدله.

﴿ **ثم تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا** ﴾[2].

﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾[3].

والكل منه تعالى وإليه لكن هناك ما جعل للعِباد فيه كسباً فينسب إليهم وما عزلوا عنه فلا نسبةً لهم فيه فافهم.

ثم ذكر دليلاً لِمَا ذكر من الموافقةِ في الصبغ.

---

[1] . عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ " إن لربكم في أيام دهرِكم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يُصيبكم نفحةٌ منها فلا تشقون بعدها أبداً " أخرجه الحكيم في نوادر الأصول، والطبراني في الأوسط

[2] . التوبة 118

[3] . الشورى 25

فقال ﷺ.

" لقوله تعالى

﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ** ﴾[1].

قلت وجه الدلالة أنَّ ايمانهم مقدم على تثبيتهم في الذكر وان كان محكوما به في الاصل فليس بصبغة الا بالتثبيت المذكور وإن كان ذلك سابقاً في الازل فللحكمةِ وجه ومنه قوله ﷻ.

﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾[2].

وقوله تعالى.

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾[3].

إلى غير ذلك فانظر هذا الأمر وتفهمه وبالله التوفيق

ثم قال ﷺ.

" **والكلام في صبغة الحق يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ عريضٍ يضيق الوجود عنه** ".

قلت وذلك لتعلقه بمَن لا يحاط به، وهذا الذي أشار إليه انما هو من جهةِ فهم معانيها ومبانيها ولوائحها ومبادئ ظهورها للوجود ومناهي ذلك لا من حيث تعلقها بالحق اذ لا مجال للخلق في الأمور الصادرة عنه سبحانه من حيث صدورها به ومنه ولكن من حيث أنها مفعولة منفعلة ونحو ذلك فافهم

---

1 . إبراهيم 27

2 . مريم 76

3 . يونس 9

ثم قال ﷺ.

" **فإنَّ التَّنجيز والحدود تمنع التعدي إلى غير واجب** ".

قلت أي فإذا كانت تمنع من غير الواجب فكيف بالكلام بما لا تصل إليه العقول ولا تناله النقول ولا يحيط به المسطر والمقول ثم عرض بدليل في ذلك.

فقال ﷺ.

وقد قال تعالى

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[1].

قلت يعني وما لا يحبه الله لا عبرة به بل لا يصِح من عاقلٍ أن يقرب منه لئلا يكون ممَّن لا يحبه الله سبحانه، وما ذاك إلَّا لأنَّ الاعتداء ادعا للاستغناء وظهور بوصف الكبرياء وخروج عن ربقة[2] العبودية وهو صادق بأقل وجوهه وإلي هذا أشار الشَّيخ

فقال ﷺ.

" **وأيضا الاعتداء على مراتب عديدة** ".

قلت يعني بحسب الحركات الوجودية لأنَّ في كل عبودية، فيعرض لها الاعتداء لا محالة ممَا فعله العبد والله اعلم.

ثم قال ﷺ

" **يأخذ كلَّ أحدٍ منها مقداره بحسب الأمزجة والطبائع المعنوية** ".

---

[1] . البقرة 190

[2] . الربقة أي القيد

قلت يعني أنَّ مراتب الناس في الاعتداء مطبوعة في أصحابها لكل منها نصيبه على قدر ما جُبِل عليه وما طبعت به حقيقته سواء كان صغيراً أو كبيراً، وشاهد هذا في قصة الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام.

" اذ قال في علة قتله أنه كان مطبوعاً على الكفر ".

وكذلك قال العلماء في الحيَّاة والعقارب وشِبْهَهَا أنها مطبوعة على الإذاية قالوا ولذلك يقتل منها الصغير الذي لا أذية له في الحال وإن كان فيه اختلاف فافهم.

ثم قال رضي الله عنه.

" وكذلك صبغة أهل المشاهدات وأهل المُنادمات وأهل المطالعات وأهل المكاشفات ".

قلت يعني أنَّ لكلٍ منها مراتب في ذاته يأخذ كلَّ أحدٍ منها مقداره بحسب الأمزجة والدقائق المعنوية فلكلِّ مُشاهِد ذوقٌ في المشاهدة ليس لغيره، وأهل المنادمات كذلك، وأهل مطالعات الحضرة وكشفها كذلك تختلف مراتبهم وتتعدد بحسب الأمزجة والطبائع المعنوية، والمشاهدة عبارة عن وضوح الحقيقة حتى تكون في معد العيان، والمنادمة عبارة عن المناجاة وهي مخاطبة على نعتِ الرضى من الحق والعبودية من العبد بحقوق الربوبية، والمطالعة عبارة عن شهود الحقيقة في كلِ نازلةٍ أو واقعةٍ ونحو ذلك، والمكاشفة ظهور البيان للوح القلب بوجه لا يمكن نفيه وهو نوع من المشاهدة فإنَّ الشهود من إشهاد المشهود كشف الوجود والله اعلم.

ثم قال رضي الله عنه.

" وكلُ نوعٍ له مَشهد وشهود وشهادة ".

قلت يعني أنَّ كلَّ نوعٍ من أنواع الموجودات حسياً كان أو معنوياً فله مشهد، هو ما ظهر من وجوده لمَشاهدهِ، وشهودٌ هو ما تعلق بالمشهد من الرؤية، وشهادةٌ هي واسطة التعلق وذلك يختلف على اختلاف الأنواع والأشخاص والوجوه والتَوَجهات والمواقع والحقائق والله اعلم ثم بين مواقع ذلك

فقال ﷺ

" مشهدٌ من حيث الأجسام والطبائع، وشهود من حيث الأرواح وروح الأمر، والشهادة من حيث الذات ".

قلت يعني أنَّ متعلق الأجسام والطبائع إنما هي الصور والوجوه والأحكام الظاهرة من وجود الموجود وهذا هو الذوق الطبيعي، ومتعلق الأرواح شهود المعاني التي ظهر بها ما ظهر وبطن عنها ما بطن لأنَّ مدارك العلوم والفهوم ليست مَن حَيَّز الطائع والأجسام ولكن من حيث مدارك الأسرار الروحانية والذوات إنما تُشاهد بالأسرار وهو الذي بينه.

إذ قال ﷺ.

" وهي شهادةُ السِرِّ الذاتي ".

قلت يعني الموضوع في الذوات لمشاهدة الذوات من حيث هي ذوات لا من حيث حقائقها فافهم، والمقصود أنَّ لعالم الأجسام والطبائع ذوقٌ يناسبها ولا يُدرك إلَّا بها، ولعالم الأرواح ذوق يناسبها، ولعالم الأسرار ذوقٌ يناسبها ويختلف باختلاف الذوات في وجودها وموجودها وهو أمر لا يعلمه حق العلم إلَّا الله سبحانه لاتساع أنواعه ومواقعه ولذلك أشار بالآية حيث.

قال ﷺ.

﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[1].

قلت نزع بالآية ليشعر بالقصور عن علم ما حام حوله من تفاصيل الأمر في العوالم المذكورة، ونبه بذلك على السِر في فهم الملائكة عليهم السلام من احوال بني آدم خلاف ما اظهر الله من علم غيبة حسبما نبه عليه بقوله العزيز

﴿ **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[2].

ومداره على بقاء الكل في ربقة العبودية، والله اعلم فافهم وتدبَّر وتأمل الأمر ترى العَجبَ العُجاب والله الموفق للصواب.

ثم قال ﷺ.

" **ظهرت لنا بوارقُ نور من جنبات الحق** ".

قلت يعني من نسبة جلاله وجماله أعني آثار ذلك ظهوره في الخلق من حيث الجملة والتفصيل فيما ذكر من المواقف الثلاثة المتقدمة التي هي المشهد والشهود والشهادة والله اعلم، ثم عين مواقع هذه البوارق ومدارها

فقال ﷺ.

" **وهي بارقة نور الابتداء المحدث في عالم التكوين** ".

قلت يعني أنَّ ما ظهر له من البوارق راجع لأصلٍ واحدٍ وهي البارقة التي ذكرها ومدارها على رؤية حدوث الخلق وكونهم من تكوين الحق دون زائد، مع أنَّ ما ظهر منها إنما هو حقائقها القاضية بالدلالة على إثبات أوصاف الكمال للحق في

[1] . المائدة 109

[2] . البقرة 30

تنزيهه عن أوصاف الخلق، وبحسب هذا فما انتهى علمنا إلى الاحاطةِ به ولا يمكن الوصول إلى ذلك أبد الآبدين لاستحالته عند كل العلماء وإن اختلفوا في العلم بالحقيقة منه سبحانه إنما هو وجود المحدثات وانفعالها فدلَّ على ما وراءه وهو معرفة الحق وهذا ما أشار إليه.

فقال ﷺ.

" **وهي من أحداث الحق للخلق** ".

قلت يعني أنَّ ما بدا لنا إنما هو ما يتعلق بالخلق ومن انفعال وتكوين لا ما يتعلق بالحق من الوصف المقتضي لذلك وإن كنا نُثبِتهُ في عين تنزيهه فبواسطة الخلق ثم لا تنتهي الى حقيقته أبداً إذ لا يبلغُ كُنهِ صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون وإن المخلوق إنما ينتهي إدراكه إلى مثله وإنما يُدرك حقيقة مَن كان من شكله ولهذه الجملة أشار

فقال ﷺ.

" **وليس من نورِ حقيقة الحق لأنَّ نور حقيقة الحقِ ليس للعقل ولا للفهم إليها سبيل** ".

قلت يعني أنَّ ما بدا له من البوارق ليس من حقائق الصفات ولا من الذات الكريمة لأنَّ العقل معزول عن درك الحقائق الإلَهية لا في باب الأسماء ولا في باب الصفات ولا في باب عظمة الذات وغايته الاثبات والتنزيه بل إنما هو آيةُ العبودية لا للإشراف على الربوبية فافهم

ثم قال ﷺ.

" **وإنما ذكرنا هذا النور على مراتب الخلق لا على مراتب الحق** ".

قلت يعني أنَّ ما أشار إليه من الاتساع في مراتب الايجاد إنما اعتبره من حيث ما يظهرُ على الخلق من مراتب الآثار لا من حيث ما يبدوا من الحق من التأثير، وذكر علة ذلك

فقال ﷺ.

" **فإنَّ مراتب الحق إذا انسبتها إلى ذاتها ليست متعددٌ ولا محصورةٌ** ".

قلت يعني بمراتب الحق، المراتب المضافة إلى صفاته كمتعلقات العلم والقدرة والارادة ومتعلقات الكلام، وقد صح في المعقول عدم اخفاء المعلومات ونفي تناهي المقدورات ومتعلقات الكلام فافهم، ثم نبه على برهان ذلك.

فقال ﷺ.

" **لأنَّ العدد والمحصور إنما يوضع بحسب اصطلاح الحق في الخلق**".

قلت يعني الحصر والعد إنما يتوجه لما أبداه الحق من حكمته في خلقه لا لِمَا يقتضيه وصفه من حيث هو، فيعني بالاصطلاح ما اقتضته الحكمة من الترتيب وعبر عن ذلك بالاصطلاح فراراً من القول بالعلة والايجاد والله اعلم، ثم نزع بآيةٍ جامعةٍ لمداده.

فقال ﷺ.

﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** ﴾[1].

---

[1]. الإسراء **12**

قلت أشار بالآية إلى أنَّ الاصطلاح المذكور عبارة عن تفاصيل الوجود وظهور نسبة، وإلى أنَّ ذلك من الحق سبحانه لا منه وأنَّ الأشياء في وجودها معتبرة بنِسبها وأنَّ جملة ما ذُكر من أول الباب إلى هنا مجموع في معنى هذه الآية، وللعاقل إشارة

﴿ **وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾[1].

انتهى الجزء الاول والثاني من فتح المواهب وكنز المطالب على صدور المراتب ونيل المراغب والله المسؤول في إكماله وتحقيقه بمنِّه وكرمه ابتداء الجزء الثالث

***

[1] الأحزاب, 4

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آلهِ وصَحبهِ وسَلَّم تسليماً يا رَبِّ يَسِّر

فصلٌ في صفةِ الوضع والموضوع والواضع

قلت يعني بالوضع ما يفيض من أنوار الهِمم على حقائق الموضوع وهو سِرُ المريد وروحه وحقيقته وقلبه وقالبه، وقد بَيَّنَ ذلك بعوارضه وأحكامه على سبيل الإيمان والإشارة.

فقال ﷺ

" **الوضع هو أصلُ المدد والموضوع هو كلِّ شيءٍ فيما يستحقه، والواضع هو واسطةُ الأرواح الخارجةِ عن المدد النوريُّ الأصلي** ".

قلت وذلك أنَّ الهِمَّة إذا تحركت لنفع مريدٍ أو الدفعُ عنه أو فائدته أو الإلقاء له فإنها أنما تنشأ عن مباشرةِ الحقيقةِ للتحقيق باستحقاقه فيوجب ذلك انبعاثه للتوجه له على سبيل الجمع الذي لا يفترق ولا يزال هذا الانبعاث مصاحباً للهِمَّة مصحوباً بالجمع إلى ايقاع ما يقتضى وجود تأثيره بقدرة الله سبحانه من توجهٍ أو توجيهٍ أو أسبابٍ عاديةٍ أو عقليةٍ أو علميةٍ أو عملية تقتضيه.

وأصل ذلك كله من فيضان نورِ الحق على روحانية العبد بوجهٍ يمكنه التصرف به لا فيه، ومعه لا عنه فتكون يده فيه نائبةٌ عن الله ولهذا أشار الحديث المقدس حيث " كنت له "[1]. فافهم.

وفيه يقول بعضهم.

" يصيرُ العبدُ إلى حدٍ تكونُ بسم الله منه بمنزلة كن من الله ".

وقوله بمنزلة فيه شيءٌ فيتعين أن يُقال موافقة لكن من الله، ولهذا أشار الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ حيث قال.

" الولي إذا أراد أغنى ".

ويقابل هذا المعنى من كلام ابن عطاء الله في الحكم.

" تسبقُ أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير ".

كلُّ كلامٍ يبرزُ وعليه كِسوةِ القلب الذي منه برز، فانظر تقريره وطَابِقْهُ مع ما ذكرناه تُصِبْ إن شاء الله.

وإنما كانت الهِمَّةُ أصلُ المدد لأنها محطة من حيث الواردُ والإيراد، وإنما كان الاستحقاق من حقائق الموضوع لأنه الموجب له ولو لم تشعر النفس بتفاصيله ولهذا أشار بعضهم في حديث.

" **دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب** "[2].

حيث قال.

---

[1] . عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ " لاَ يصبرُ أحدٌ عَلى لأوائِهَا وجهدِهَا فيموتُ إلّا كنتُ لَهُ شَفيعًا أَوْ شَهيدًا يومَ القيامةِ إذَا كانَ مُسلمًا " رواه مسلم

[2] . عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إلاَّ قال الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ " رواه مسلم.

إنما ذلك لِمَا يناله عليه من الشفقة الداعية لاجتماع حقائقه عند الدعاء له أو كلاماً هذا معناه فهو من مواقف الاضطرار وإن كان غير مشعور به فيه وإنما كانت الأرواح واسطة لأنها موقع أنوار التنزيلات ومستودع أنوار الحقائق كما أشار إليه ابن عطاء الله تعالى في قوله.

" نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب ".

وإنما كانت هذه الوسائط خارجة عن المدد النوريِّ الأصلي لأنه لا نسبة بين حق وحقيقة ولا بين ما من الحق للخلق ولا ما من الخلق للحق، ثم جملة ما ذكر هنا غير داخل تحت القياس ولا التصرف وإنما هو جاد بحكمِ التصريف في الإلقاء والمُلقى إليه والواصل له، فالولِيُ معزولٌ عن نفع مَن أراد نفعه إلَّا من حيث إرادة الحق به على يديه فهو مظهر لا مُظهر، ولهذا ربما انتفع به الأبعد وحرُم منه الأقرب وبالله التوفيق، ثم عاد الشَّيخ ﷺ على الثلاثةِ بتفاصيل أحكامها على طريق العَكسِ.

فقال ﷺ.

" **وهي عوائد من طبع البشرية** ".

قلت يعني أنَّ توسط الأرواح في إيصال الأمداد إنما يجري بطريق العوائد البشرية من الشفقة والأُلَف وتواصل الأرواح من حيث استراحة بعضها لبعض لأنها جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف[1].

ومحال أن تأتلف ثم تتوقف في النفع والانتفاع ولهذا كان المرء على دين خليله[1].

---

[1] . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ " الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدةٌ فما تعارَف منها ائتلفَ وما تناكرَ منها اختلفَ " رواه البخاري.

والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يشعر، ومَن تحقق بحاله لم يَخلَ حاضروه منها فاعرف ما أُشير إليه وتدبره راشداً إن شاء الله.

ثم قال ﷺ.

" **وهي اشتراك الأقوال والأفعال بالامتزاج** ".

قلت يعني العوائد المذكورة راجعةٌ لمداخلة الحقائق وسريان ما فيها من قول وفعل في حقيقة المواجَه بها حتى يصير له منها مثل ما لصاحبه لاشتراكه معه فيما هو به وعنه يُقِرُّون بقولهم من تحقق بحالهٍ لم يَخلُ حاضرهِ منها فلذلك نهي عن صحبة الفاسقين وأمر بصحبة الصالحين ولهذا التداخل ذوق في النفوس يعرفه مَن حصل له منه جزءٌ ما ولو كان في باب العشق الادنى فضلاً عما سواه فأفهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهي صفة الطالبين المقتصرين** ".

قلت يعني أنَّ الامتزاج الروحاني من الاعلى للأدنى إنما يكون في مقام النقص والتقصير لأنَّ الكامل المحقق لا يصحُ منه توجه لمخلوقٍ فكيف بالشغف به ولا إمتزاج إلَّا بشغف بل هو مقدمته وقد اشار عليه السلام لهذا المعني بقوله ﷺ.

" **لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن**[2] ".

---

[1]. عن أبو هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ المرءُ على دِين خليله، فلينظرْ أحدُكم مَن يُخَالِلْ. أخرجه أبو داود، والترمذي.

[2]. عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال " لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتَ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُم خَلِيلًا " رواه مسلم

والخليل هو الذي تَخلَّلَ محبوبه كل وجوده فلم يبق منه جزؤٌ إلَّا داخله وذلك له عليه السلام حقيقةً، ولغيره منه شِربٌ علي قدر إرثه إذ العلماء ورثة الانبياء[1]. فافهم.

ثم اعلم أنَّ كمال المريد في توجهه إنما يكون بهذا الامتزاج ليفنى عنه وجوده بواحد فيصله ذلك الواحد بواحد لا مَثَل له من حيث ظهور نسبة أفضاله عليه، كما اتفق لمريدٍ كان لممشاد الدينوري[2] رحمه الله.

إذ دخل عليه ممشاد وهو يقول ممشاد، ممشاد

فقال عليك بربِ ممشاد

فانتقل المريد بذلك فوقع السيل في المدينة فإذا هو يمشي على الماء وإذا الشَّيخ يخوض الماء

فقال يا أستاذ تعلقنا بربِ ممشاد فأغنانا عن ممشاد

قلتُ لكنَّ الدليل ممشاد ولولا أنَّ الله فتح الباب على يديه ما كان له وصول، استهلك في حب ممشاد فنقله بذلك الاستهلاك لأعلى رتب التوحيد وهي فائدة الخدمة في حق المربين بها وكذا عند ذوي الهمم والله اعلم.

ثم قال رضي الله عنه.

" والموضوع هو صفة أهل العرفان وأهل الفتوه أرباب الحقائق الموصوفين بوصف العارفين ".

---

[1] . عن أبي الدرداء رضي لله عنه قال، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: "مَنْ سَلَكَ طريقًا يطلبُ فيهِ عِلمًا سَلَكَ اللَّه به طريقًا من طُرُقِ الجنّةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رِضًا لطالبِ العلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ لهُ مَنْ في السَّماواتِ وَمَنْ في الارضِ والحيتانُ في جَوْفِ الماءِ، وإنَّ فَضْلَ العالِمِ على العابِدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ على سائرِ الكواكِبِ، وإنَّ العُلماء وَرَثَةُ الانبياءِ، وإنَّ الانبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا دِرْهمًا، وإنَّما ورَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أخذَ بحظٍّ وافِرٍ" أخرجه: أحمد في المسند

[2] . ممشاد الدينوري أحد علماء الأكابر ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه من كبار مشايخ الصوفية توفي سنة 299 هـ.

قلت يعني أنَّ النظر بالاستحقاق على وجه يُحرك الهمة ويُثير الحقيقة من صفة العارفين لفنائهم عن أنفُسِهم فهم ينظرون بنور الحق فيضعون الشيء في محله حيث يحكمونَ على أحوالهم ولا تتحرك هِممُهم في غير محلٍ لانطباعِ نفوسهم بالحق بدلاً من الهوى فكل مَن يستحقُ مرتبةً يأخذها من أيديهم على قدره بقدر ما يبدو لهم منه حقيقةً وتحقيقاً وما صَحِبَ أحدٌ ولياً قط إلّا أخذ منه بنيته على قدر همته فلذلك اختلف انتفاع الناس مع اتفاق العين المأخوذ منها وأهل الفتوة الموصوفين بوصفِ العارفين هم أهل مقام الجمع الذين وضحت لهم الحقائق في بساط التحقق فوقعوا في أول أودية الفناء مع بقايا البقاء عليهم وهم الذين تتقيد معرفتهم بالإشارة كما نبه عليه ابنُ عطا الله في قوله.

" ما العارف مَن إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده ".

واختص هذا الأمر بأهل الفتوه منهم من حيث أنَّ الاهتمام والهِمم لا يكون إلَّا عن فتوه بخلاف الذين من قبلهم فإنما هم متصرفون بالفناء فهم خلفاء الحق في الخلق وعيونه في عباده كما أنَّ الاخرين شفعاء الخلق عند الحق ويقع الانتفاع بهؤلاء أكثر لقربهم من مراتب الوجود العَيني لَكِنَّ نفعهم غالباً قاصر بخلاف الذين من قبلهم فإنَّ نفعهم متعدد لمَن نفعوه إلى كُلِّ مَن له منه نسبةً ويبقى سريانه في ذلك على قدر القوة والنصيب.

وبقدر أهل العزمِ تأتي العزائمُ، وقد أشار ابن عطا الله ﵁ لحال الفريقين على الوجه الذي ذكره الشَّيخ ﵁ فقال.

" عباراتهم أمَّا لفيضانِ وجدٍ أو لقصدِ هِدايةِ مُريد ".

فالأول حالُ السالكين، والثاني حالُ أرباب المكنة والمحققين فجعل القسم الاخير قسمان وهم المذكوران هنا، والاول يقع به التأثير وقَلَّ أن يقع به الانتفاع المستمر لأنَّ نفع كُلَّ البساط على قدره فافهم.

ثم قال ﷺ.

" وهم أوتادُ الارض وموضع نظر الحق، وبهم يَرشد الله من عباده مَن يشاءُ، وهم رحمةٌ من الله لعباده من الاتساع والقوة والنظر بعين البصيرةِ بالنور المطلق المددي الذي يَمِدِ الله به جميعُ الارواحِ من الجِّن والانسِ أجمعين ".

قلت إنما كانوا أوتاد من جهة أنَّ قبة وجودها المعنوي قائمة بهم فلولا انهم يمسكونها بما القي الحقُ فيهم من سره الجامع للمعاني والمباني لهلكت، وقد أشار لهذا المعنى في الحديث الصحيح حيث قالت أُم المؤمنين رضي الله عنها.

" **أنُهلِكَ وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كَثُر الخَبث** "[(1)].

فالصالحون أوتاد والخبث ريح فإذا قَوِي الريح تقلعت الاوتاد فلم تَمسِك شيئاً مع سلامتها في نفسها فافهم.

ومعنى موضع نظر الحق أنهم محلُ إكرامه وتفضُّلِه وإحسانه الفائض على خلقه بحيث أنه يجري على أيديهم للعباد منه ما يحتاجون إليه نفعاً ودفعاً اذ نزلوا من المملكةِ منزلةَ المتصرفين بالنيابة من الوزراء والقُواد والجُند.

﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الاعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[(2)].

---

[1]. عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: " لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ وَيْل لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ" وعقد سفيان يده عشرًا، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ " رواه مسلم

[2]. النحل **60**

الذي لا يحتاجُ لوزيرٍ ولا غيرهُ، وإن جَعلَ مثالهُ في الوجود فلإظهار حكمتهُ وتنويع رحمته فافهم.

وقوله بهم يرشدُ الله مَن يشاءُ من عباده قد تقدم بعض معناه فوق هذا، ثم بَيَّنَ وجوه الاتساع من أين كان وبماذا وقع وهي ثلاثةُ أُمور.

أولها الرحمة لعباد الله وهي المقتضية لوجود الشفقة عليهم والاهتمام بأمورهم حتى يدعون لهم أو يتوجهون فيهم بكُنه الهِمةِ الصادقة.

والثاني الاتساع المقتضي لعذرِ كلَّ أحدٍ في حاله حتى لا تُدرِكه عليه غلظةٍ وإن عمِلَ ما عمِل وهو مُستحِثُّ الرحمة في بعض الوجوه كما وقع لبعضهم.

أنَّه اجتاز بقوم يشربون الخمر ويعملون بالفواحش على وجه المجاهرة وهم في البحر فقيل له فيهم فقال

" كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فتأبوا لوقتهم "[1].

وأكثرُ ما يَقع مثل هذا عن مثلِ هذه الحالة في مثل هذه الواقعة.

والثالث النظر بعين البصيرة لا بعين الباصرة بحيث ينبسط نور الحقيقة على مَن شاهده في نقائصه فيسري له منه مددٌ نوري يقتضي له مشاهدة عاقبته من غير دليل في الحال وإن استند إليه في المال فإنَّ الحقيقة لابد لها من شاهدٍ في السر وشاهدٍ في الحقيقة ودليلٌ في الخارج يُدرِك كل واحد بما يوافِقهُ من باطن الناظر فيه أن يَسلم عن شوائب الهوى في أي موقفٍ كان، وقد أشار إلى ذلك في الحديث حيث قال ﷺ.

" **خصلتان لا تجتمعان في منافقٍ، حُسنُ سَمْتٍ، وفقهٍ في الدِّين** "[1].

---

[1] . القول للإمام العارف بالله أو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي نسبةً إلى قرية على باب بغداد يُعرف بالكرخ وهو من موالي علي بن موسى الرضا، يقول البغداديون فيه " معروفٌ ترياقٌ مجرَّب "

" **خصلتان لا تجتمعان في مؤمنٍ، البخل وسوء الخُلق** "[2].

وفي الخبر أنه ﷺ قال.

" **القلوب تتشاهد** ".

وقال عمر بن الخطاب ﵁.

" احذروا مَن تَنفرُ منه قلوبكم ".

إلى غير ذلك، والحاصل أنَّ أمداد الخلائق جارٍ على أهل هذه المرتبة بحكمِ سُنَّةِ الله ونُورِهم منبسطٌ على الخلائق لذلك فينال منهم كل أحدٍ على قدره نفعاً وغيره فافهم.

ثم قال ﵁.

" **والوضع هو مدد الحق إلى الخلق** ".

قلت مدده لأهل الإمداد حتى يجري عليهم الإستمداد حتى يصل إليهم وسواء كان من النور المستودع في القلوب أو الوارد من خزائن الغيوب كان مِمَّا يكشف لك به عن آثاره أو مِمَّا يكشف لك به عن أوصافه فافهم.

ثم قال ﵁.

" **وفيه مشاهدات ومخاطبات وتنزيلات** ".

قلت فالمشاهدات حظ الأرواح والحقائق لأنها قوابل التجليات، والمخاطبات حظ الأسرار لأنها محل إيداع العلوم والحقائق، والتنزيلات حظ القلوب لأنها محال التلقي والمقصود، إنَّ المدد يأتي بحقيقة تُشهد لا يمكنُ التعبيرُ عنها وبخطاب

---

[1] . أخرجه الترمذي في السُنن

[2] . رواه الترمذي

يُسمع لا يُستند إلى مقدمة ولا يدفعه برهان وإن كان لا يتوقف عليه وبتنزُّل يُدرَك ويُستلَذُّ وإن كان لا يوصف فاعرف ذلك تجده صحيحاً عند الذوق وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **وهو معدن الإمداد الذاتي الفائض على الأرواح الذاتية الوجودية** ".

قلت الاشارة بِهو لِأصل المدد، وهو النور الوارد من خزائن الغيوب فهو إمداد ذاتي بمعنى أنَّه خارج من بساطِ الذوات الخلائق النفسانية التي أُفيض عليها نور المعرفة في عالم الارواح يوم الميثاق فشهدت بما شهدت وانصبغت بالعلم بما شاهدت، فدام لها وجوده من حيث الشهود ولذلك كان حجةً عليها فيما لا يزال كما نبهت عليه الآية الكريمة أعني قوله تعالى.

﴿ **شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[1].

فما ذُكر من المدد المذكور في الوجود كالنور في الابصار والوارد عليه كالشمس الطالعة لا فائدة للأول إلَّا بالثاني ولا إفادة للثاني إلَّا بالأول وكلاهما من عين واحدة.

﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾[2].

ثم قال ﷺ.

﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[3].

---

[1] . الاعراف 172

[2] . النور 40

[3] . النور 46

قلت أتى بهذه الآية دليلاً لِمَا ذَكرَ أنَّ فرع النور كأصله وأنَّ كلاً منهما من عين واحدة هي الافادة الالهامية، فقاعدة التوفيق ليس إلَّا سابقة التوفيق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم قال ﷺ.

" **وبعد فكل وضع من هذه الموضعات التي ذكرناها يحتاج إلى شروط وعمل ظاهر وباطن** ".

قلت أراد بالموضوعات هنا الحقائق الثلاثة، أعني الوضع والموضوع والواضع، وقوله يحتاج إلى شروط يعني أنَّه يتوقف وجوده على شروط لا يصح بدونها والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" فالوضع الأول الذي أشرنا إليه يحتاج من طهارةِ السر مع العصمةِ من جميع النقائص والرذائل طبعاً لا تَطَبُّعاً وهي صنعةُ الأحرار ".

قلت يعني أنَّ أسرار الحق لا تكون إلَّا في محل طاهر من كلِّ دنسٍ نظيف من كل وسواسٍ وهَوس لأنها من بساطٍ مقدَّسٍ فلا يصح ورودها على محل مُدَنَّسٍ ويكون ذلك من أصل الجِبِلَّةِ ومقام الفطرةِ سَواء وطأته فلم تلُم بذنبٍ أو ألَمتَ به من غير رضىً ولا استحسان ولا إيثار ولا إصرار فيكون حينئذٍ مرتسماً لا حقيقة له والعوارض لا تقدح في الأصول وقد قال عليه السلام.

" **كل الخلال يَطَبَّع عليها المؤمن ليس الخيانة والكذب** "[1].

---

[1] . عن ابن أبي شيبة قال، قال رسول الله ﷺ "كل الخلال يَطَبَّع عليها المؤمن إلَّا الخيانة والكذب " في المصنف عن أبي أمامة

فنفى عنه وجود الانطباع عليها لا وجودها اذ قد توجد دون انطباع والله اعلم.

وكذلك قيل في قوله ﷺ.

" ثلاثة من كن فيه فهو منافق "[1].

أنَّه يُريد طبع عليها بحيث لا يبالي اين وقعت منه فتأمل ذلك وما ذكره من الحرية إشارة إلى الخروج عن موارد الطباع والرجوع من طريق التهديد والخوف بل من طريق ما جُبلت عليه حقائقهم من الحق والتحقيق فافهم ثم زاد بيانا في وصف هذه الطائفة الكريمة.

فقال ﷺ.

" **وهو لأهل هذه المرتبة هم القائمون مع الله في كل شيء** ".

قلت قائمون معه بامتثال أمره والنظر لوجوه تصريفه قال " **شارح المجالس** ".

" العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فإن ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثواباً لأنهم لم يروا أنفسهم عملاً لها، وإن ظهرت منهم زلةً فالدِّيةُ على القاتل، قيامهم بالله ونظرهم إليه، وخوفهم هيبتهم، ورجاؤهم الأُنس به " انتهى.

ونقله سيِّدي عبدالله بن عبَّاد رحمه الله في " **صدر التنبيه** " فانظره.

وقوله فيه الدِّيةُ على القاتل إشارة لغاية الاستسلام وكأنه يقول إنما يطالب بالشيء مَن يستحقُ عليه، والحق تعالى لا يجب عليه شيءٌ فهو يقدر ما يشاء ويحكم عليه بما يريد هذا فهمنا فيه وفي الكلام حدوشة واضحة والله اعلم.

[1] . عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ "ثلاثة من كن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتمن خان " رواه أبو الشَّيخ الأصفهاني

ثم قال ﷺ.

" **وهم معدن أسرار الله في الخليقة** ".

قلت يعني أنهم مظاهر الأسرار الغريبة والتصاريف العجيبة فيما بينهم وبين الحق سبحانه من حيث الحقيقة، وفيما بينهم وبين الخلق من حيث الكرامة والحقيقة، وفي معنى ذلك قيل.

ولـه خصـائص مصـطفون لحبـه   اختـارهم فـي سـالف الأزمـانِ
اختـارهم مـن قبـل نشـأة آدم   لودائـعٍ ولحكمـةٍ وبيـانِ

وأشار بما قبل النشأة لانطِباع وجودهم بالحقيقة يوم الميثاق فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **واعمالهم ومعاملاتهم قد رُفِعت عن حُجب التقصير والإدراك** ".

قلت أراد أنهم في معاملاتهم لا يلحظون التقصير فيها ولا إدراك المراتب بها لنظرهم لمولاهم، وقد يريد أنهم لا يعتريهم التقصير فيها، يُعاملون ولا يُدرَك وصف ما يأتون به وهو ظاهر السياق لكن الأول أولى لأن عمل العباد لا يخلو عن تقصير في وجوده وإن كان خلياً عنه فلا يخلوا صاحبه عن ملاحظته لكماله أو عن ملاحظة نقصه هو في ذاته من حيث أنَّه لا يملك وجوده ولا موجوده وإنما سلموا من التقصير لخلوهم عن شرط الاستناد كما أشار إليه بعضهم حيث قال.

" لا يخلوا شهود التقصير من وجود الشرك في التقدير " فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **فَهِمَمُهم قد خرقت حجب أنوار التوحيد ونفذت بصائرهم في حقائق تجريد التفريد** ".

قلت خرقت حجب أنوار التوحيد اذ لم تقف معها بل فنيت في وجود الواحد لم يبق لها عن غيره أخبار ولا مع مَن سواه قرار.

﴿ **قُلِ اللَّهُ ثم ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[1].

ونفوذ البصائر في حقائق تجريد التفريد اقتضى لهم شهود فردانيته تعالى فلم تُزغ أبصار بصائرهم عند النظر لمن سواه عن النظر إليه بل ينظرون كل موجود به ومنه وإليه فلا يحجِبهُم الوجود ولا الموجود لِمَا تحقق عندهم من الشهود قال الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

" إنَّا لننظرُ إلى اللهِ ببصائرِ الإيمانِ والإيقانِ، فأغنانا ذلكَ عن الدَّليلِ والبُرهان، وإنَّا لا نرى أحداً من الخلقِ هل في الوجودِ أحدٌ سوى المَلكِ الحقّ، وإن كان لابدَّ فكالهباءِ في الهواءِ إنْ فتَّشتَهُ لم تجدْهُ شيئاً " انتهى.

فتدبره تجده مطابقاً للمُشار إليه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **فأنوارهم قد عليت أنوار الوجود وسِرَّهم قد ظهر منه شعاعٌ لبعضِ خواص أهل الشهود** ".

---

[1] . الأنعام 91

قلت أنوار الوجود عبارة عما يقتضيه من شواهد الحقائق المستخرجة بالفكر والاعتبار وهي دون مدارك الحقائق المقتضية لوجود الاستدلال بالحق على الخلق الذي هو وصف أهل المعرفة والوصول كما قال ابنُ عطا الله في الحكم.

" شتان بين مَن يستدل به أو يستدل عليه، المُستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه قيل لبعضهم أين الله

فقال " أسحقك الله أتطلب مع العين أين ".

وقيل لبعضِهم أنَّ فلاناً يستدل على وحدانية الله بألفِ دليل

فقال يا بني لو عرف الله ما استدل عليه فبلغ ذلك المُستدل

فقال صدق هم ينظرون على الكشف ونحن ننظر من وراء الستارة أو كلاما هذا معناه.

وقوله سرهم قد ظهر منه لآخره، أشار به لأنَّ غاية ما ينتهي إليه المتعرف هو أدنى ما ظهر من حقائق العارف، ليس التَكَحُّل في العينين كالكُّحل وخواص أهل الشهود هم الذين يحصل لهم من البيان ما قام عندهم مقام العيان غير أنَّ أهل هذه المرتبة زادوا وعليهم بانصباغ حقائقهم بما عاينوه من أصل النشأة، وإن كان للآخرين انصباغ فإنه عن تَعملَ غايتهُ إدراك مبادئ الانصباغ، وقد أشار بعضهم لهذا في مناط المعقولات وهو متقارب فقال

" رأيت العقل عقلين فمطبوعٌ ومسموع ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكن مطبوع كما لا تَنفع العين وضوءِ الشمس ممنوع ".

نفعنا الله بالفريقين بِمَنِّه وكرمه.

ثم قال ﷺ.

" **فهم شاهدون مشهودون** ".

قلت شاهدون في حضرة الحق لا يُحجَبون، مشهودون عند الخلق لِمَا عليه من الحقائق وقد وقعت الإشارة لذلك في حكاية أبي يزيد ﷺ.

" اذ كان شاب يدَّعي رؤية الحق بِكُنهِ بصيرته

فقيل له لو رأيت أبا يزيد

فقال وما اصنع به وقد رأيت ما رأيت، ثم لما رآهُ صاح صيحةً زهقت فيها روحهُ

فقيل لأستاذه في ذلك

فقال لَمَّا رأى الحق بمقام أبي يزيد لم يُطق شُهودهُ فانفطر قلبه أو كما قال " ذكره الغزالي في كتاب المحبة والله اعلم.

ويرحم الله الجنيد ﷺ حيث يقول.

قُـل لِمَـن طـاف بكاسـاتِ الهنـا | وسـقا العُشَّـاق مِمَّـا قـدما
مـا مقامـاتُ المُحبـين سـوى | لا ولا العلـمُ جميعـاً والعمـل
لـيسَ مَـن لَـوَّحَ بالوصـلِ لـه | كالَّـذي سِـيرَ بـهِ حتـى وصـل
لا ولا الواصـلُ عنـدي كالَّـذي | طـرقَ البَّـابَ وللـدارِ دخـل

لا ولا الـدَّاخِلُ عنـدي مِثـلَ مَـن   سَـارَرُوهُ فهـو للسِّـر مَحـل
لا ولا مَـن سَـارَرُوهُ كالَّـذي   صـار إيَّـاهم فَـدَع عنـكَ العِلـل
ذاك شـيءٌ شَـغُفَ القلـبَ بـه   لـو تجلَّـى مِنـهُ لِلخَلـقِ قَتَـل
كُـلُّ مهـراسٍ تـدانا نحوهـا   كُـلُّ لاغٍ مَـا لـهُ فيهـا مَحَـل

ثم أنَّ هذه المرتبة التي ذكرها الشَّيخ هنا في مرتبة التصريف دون التصرف ومدارها على تحقيق الفناء في الحق أولاً وآخراً بلا علة في وجود الفناء ولا تحصيله ولا توصيله فافهم.

ثم قال ﷺ.

" والموضوع هو صفة أهل الحقائق المتجردين لقطع كل العلائق الخارجين عن درجة الخلائق إلى حضرة حقيقة الحقائق ".

قلت أراد بالموضوع ما تقدم له بيانه بقوله هو كل شي فيما يستحقه ومقصده هنا أنَّ وضع الاشياء على مناسبة الاستحقاق من شأن أهل الحقائق العرفانية الخارجين عن عوائد الخلق إلى حقائق ما يريده الحق منهم دون أهل التقيد بالعوائد والقائمين مع الفوائد فافهم.

ثم قال ﷺ.

" وهم أهل السلوك والطريقة الطالبون لله فعلاً وقولاً ".

قلت مرادُه بالسلوك أرادة الحق على بساط الصدق وهو الطريقة لأنَّ مدارها على صدق التوجه بما يرضاه الحق سبحانه، ومن حيث يرضاه ويجري ذلك في الأقوال والأفعال والعقود والأحوال كما أشار إليه بما تقدم.

ثم قال ﷺ.

" **وشروطهم الصدقُ والورعُ والزُهدُ والذوقُ والشوقُ والحبُّ والهيبةُ والغيبةُ والرضى** ".

قلت أراد أنَّ صاحبُ هذا المقام لا يجوزه إلَّا بهذه المقامات فإن لم تكن فيه فليس من أهله، ومعنى الصدقُ يرجع للتحقيق في العبودية قولاً وفعلاً وحالاً، والورعُ التجنب من مواطن الرَيب، والزُهدُ التخلي عن كلِّ شيءٌ له صورةٌ في النفعِ أو في الدفع، والذوقُ إدراك أوائل التجليات والأحوال بوجهٍ لا يُعبَّر عنه، والشوقُ دوام القلق لتمكن الحُرَق، والحُبُّ أخذ جمال المحبوب بحبةَ القلب حتى لا يدعه لتصريف غيره، والهيبةُ بهتٌ يدرك القلب من مشاهدة العظمة والجَّلال والغيبةَّ نسيان الكُلِّ بوجود الحق، والتسليم الخروج عن الكل له، والرضى سرور الفؤاد بمواقع المواد وكل هذه المقامات يطلب فيها وجود المنازلة والتحقيق لا مطلق العلم والفهم والتخلق فإن كانت كما هو مطلوب كان صاحبها سالكاً وإلَّا فلا كما أشار إليه.

ثم قال ﷺ.

" **قد جمعوا هذه المقامات على حقائقها وما يقتضيه فيضُه من كلِّ مقامٍ منها** ".

قلت وذلك لأنَّ التحقيق بالحقائق هو المعتبر لا فِهمَها وإلَّا فهي حجاب، ولكل شخص فيها فيض يليق به ويجري سلوكه فيها بحسبه فلا تستوي مدارك الذائقين لها بل لا يستوي ذوق الشخص الواحد فيها في اليوم الواحد بل ولا في الساعة الواحدة فضلاً عن جملةِ عُمُره كما تقدم في أول الباب فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهؤلاء هم المعروفون بالمعرفة وبالحقيقة** ".

قلت عُرفوا بالمعرفة من حيث أنَّ آثارها ظاهرةٌ عليهم، وبالحقيقة لأنَّ وجودها بادية منهم ومعانيها مشهودة لديهم ويلحقهم في ذلك أهل الفتوة من المُطَّلِعين كما تقدم.

ثم قال ﷺ.

" **ولهم بعد ذلك مراتب على قدر الفيض والقصد والهمَّةِ** ".

قلت الإشارة بذلك لجملةِ ما ذُكر من المعرفة وشروطها العشرة المتقدمة التي هي الصدق فما بعده ثم المراتب، أما جُمْلَةً وأما تفصيلةً وكلها غير متناهية لتجددها أبداً حتى في دار الآخرة الأبدية لأنَّ المعروف لا يتناها والربوبية لا تتناها، فالعبودية والمعرفة غير متناهية وإن ارتفعت التكاليف والكُلَف وجرت رسومُ الحقائقِ مجرى الأنفاس من الذكر وما في معناه، نعم وترتفع أحكام بعض الشروط لانتفاء ما تتوقف عليه فتأمل ذلك، والفيض عبارة عن الواردات الإلهية التي يُفيضُها على قلوبِ عباده، والقصدُ إشارة إلى النية التي يقع بها ابتداء التوجه

والعمل، والهِمَّة إشارة إلى الباعث المستمر المصحوب بشواهد القدرة ثم القصدُ والهِمَّة قد يتفقان فيتحصل المقصودُ دون تعبٍ ولا كُلفة وقد يختلفان فيكون الحكم للهِمَّة في التحصيل كما أنَّ الحكمَ للنِّية في التوصيل فينتفع كل أحدٍ بنيَّته على قدر همَّته فافهم.

ثم قال رضي الله عنه.

" **فهؤلاء هم أهلُ خزائن الأسرار التي هي مَودوعة بصدد الوداعةِ ممَّن له فيها نصيب وحظ** ".

قلت أراد أنَّ أهل هذه المرتبة هم أُمناءُ الله في خلقه يلقي إليهم ما ينتفعُ به العباد فينال كلُّ أحدٍ منهم على قدرِ نصيبه المودوع عندهم له مفتاح ذلك منهم وجود الاستحقاق المُثيرُ للشفقة والعطف، وإليه يُشير قول الناس لمن يتهمونه بإصلاح خاطرك اي لنكن منك على بال واهتمام والله سبحانه اعلم، ثم نزع الشَّيخ بآيات من الكتاب العزيز تقتضي اختلاف الناس في القصدِ والفيضِ والهِمَّةِ.

فقال رضي الله عنه.

﴿ **قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ** ﴾[1].

قلت وهذه جامعةٌ لجميع المراتب من طريق الإشارة فإنَّ المشاربِ مختلفةٌ غير منحصرة لا باعتبار الأنواع ولا باعتبار الآحاد ثم قال.

﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** ﴾[1].

1 . البقرة 60

مراده آخر الآية وإن لم يكن يذكره فالدلالة أولُها عليه وطُرق الإتباع مختلفة فهي آيةٌ جامعةٌ في باب القصدِ كما أنَّ التي قبلها جامعةٌ لأنواع الفيض فافهم.

ثم قال ﷺ.

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[2].

قلت وهذه جامعةٌ لوقائع النفوس وتوقيعاتها لا في باب الفيض ولا في بابُ القصد وعليها الجزاء فلذلك ذُكرت بعدها فافهم.

ثم قال ﷺ.

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3].

قلت وهذه جامعةٌ لوجوه المقابلة في وقائع النفوس وتوقيعاتها من طريق المحاسبة والمجازاة وداً وقَبولاً فافهم.

ثم قال ﷺ.

﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[4].

قلت أشار بها لمبادئ الهِمَم وأنه الحَذر والإشفاق بجميع أنواعه فافهم.

---

1 . الفرقان 27

2 . الإسراء 13

3 . الكهف 49

4 . النساء 71

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[1].

قلت وهذه جامعةٌ لمراصد الهِمم وهي الأعمال بإختلاف أنواعها فافهم.

ثم قال ﷺ.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[2].

قلت وهذه إشارة إلى غايات الهِمَم وهو الجمع ثم الفناء الذي تنتهي إليه كل معاملة ويقف عنده كل مشهد فافهم.

وجملة ما أتى به الشَّيخ ﷺ ست آيات ثلاث في البواعث وثلاث في محاطِّها، فالأولى باعثة العارف ومَن في معناه، والثانية باعثة المُريد ومَن في معناه، والثالثة مذكرة المتيقظ ومَن في معناه لأن العارف مسابق في المراتب، والمُريد فارٌّ من المثالب، والمتيقظ طالب للمآرب فهو ينظر ما قدَّم وما أخَّر ويعمل على ما يصل به للتحصيل وهو العامل على الحذر، والمريد هو العامل على السعي المنتظر، والمتيقظ مثله في ذلك والجميع في قبضة التقدير وبساط التدبير

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾[3].

ثم قال ﷺ.

" ولكل وضع وضوع ولكل وضوعٍ وقوع ولكل وقوع خضوع ولكل خضوع رجوع.

---

[1] . النجم 39

[2] . الإنسان 30

[3] . الأحزاب 4

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1].

قلت أراد بالوضع أصلُ المدد وهو متنوع جملةً ثم تفصيلاً من جلالٍ وجمالٍ وغيره فافهم.

ووضوعهُ وجوهه التي يتعدَّد لها وهي بعدَد أنفاس الخلائق لأنها بحسب التجليات، كل نفس يقتضي تجلياً إلى ما لا نهاية له وقد بسطنا الكلام عليه فيما قبل والله اعلم.

وقوله لكل وضوع وقوع يعني أنَّ الوضوع المُتعدِّد يتعدد وقتها في النفوس بتعددها من حيثُ الجملةِ وتتنوع هي في نفسها إلى ما لا نهاية له فلا تتفق فيها الأذواق وإن اتفق المذاق.

ولكل وقوع خضوع هو عرضة فإن كان جلالياً كان على نسبته وإن كان جمالياً كان على نسبته وإن كان غير ذلك كان بحسبه على اتِّساع أنواعه الاجمالية والتفصيلية.

ولكل خضوع رجوع على نسبته لان الخضوع يقتضي الرجعى إلى الحق في كل بابٍ وماهناك غيرها وهي متنوعةٌ بحسب ما قبلها وقد أشار ابن عطاء لله رحمه الله لهذا المعنى حيث قال.

" تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال ".

وقال أيضاً رحمه الله.

---

[1] . البقرة 105

" حسنُ الاعمال نتائجُ حسنِ الأحوالِ، وحسنُ الأحوال من التحقيقِ في مقامات الإنزال ".

وقال أيضاً رحمه الله.

" النورُ له كشفٌ والبصيرةُ لها الحكمُ والقلبُ له الإقبالُ والإدبار " انتهى.

وهو من أُفقٍ للوجوه المتقدمةِ فافهم،

ثم قال ﷺ.

﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾[1].

قلت أشار بالآية إلى أنَّ هذه المراتبِ لا تدخلها الحيل في التحصيل ولا الأسباب في التأصيل قال في الحكم.

" علم أنَّ العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية فقال.

﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾

وعلم أنَّ لو خلاهم لذلك لتركوا العمل اعتماداً على الازل فقال.

﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[2].

إلى المشيئة يستند كلَّ شيءٍ وليست تستند هي إلى شيء انتهى.

[1] . البقرة **105**

[2] . الأعراف **56**

وإذا كانت الأمور مفروغاً منها لم يبقى لأحدٍ حُجَّةً فيتصور منه تمني الفَقدَ لوجود الفقدان كما أشار إليه الشَّيخ.

إذ قال ﷺ.

فحينئذ ﴿ **وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** ﴾[1].

قلت أراد أنَّ ظهور التخصيص بالرحمة هو المُوجِب لتمني الكافر العدمية لأنَّ نعيمِ أهلِ النعيم زيادة في عذاب أهل الجحيم من حيث الثائر بالتشفي، ومن حيث التأسف على فوات الاستدراك، ومن حيث التفصيل في الوجود فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **فالويلُ كلَّ الويلِ لمَن لا يخافُ ربه ولا يُراقبُ مولاه الذي خلقه** ".

قلت يعني بذلك الكافر، وأنَّ فقدانه للرحمة عنوانه فقدانُ المراقبة والخوف بدليل الآيتين التي ذكر

إذ قال ﷺ.

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[2].

﴿ **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾[3].

1 . النبأ 40
2 . المؤمنون 1
3 . هود 105

قلت فظهور الاختصاص بوجود الإيمان واختلاف مراتب أهله فيه لأنه عنوان الفلاح لدلالته على ما وجب في الأزل بقوله تعالى.

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾

وكلُّ ذلك أمرٌ مُبهم أعني السعادة والشقاوة لتوقفها على علم الله سبحانه كما ورد في الحديث.

" **إنَّ العبد ليعمل بعمل أهل الجنة** "[1].

ثم قال ﷺ.

" اللهم إنا نسألك السعادة ونعوذ بك من الشقاوة ".

قلت استشعر إبهام الخاتمة واتساع علم الله فسأل على وفق ما في نفسه رجواً لمولاه فيما به تولاه اذ قد يكون علقه على سؤاله.

﴿ **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾[2].

ثم سر الدعاء بمفروغ منه غير محال لذاته من آداب العبيد لإظهار الفاقة مع استشعار اتساع العلم والقدرة والإرادة ولذلك كان الدعاء.

﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[1].

---

[1] .قال سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ « إن العَبْد ليعْمَل بِعَمَل أهل الْجنَّة سبعين سنة حَتَّى يَقُول النَّاس إِنَّه من أَهلهَا وَلَا يَبْقى بَينه وَبَين الْجنَّة إِلَّا شبر فَيَسْبق عَلَيْهِ الْكتاب فَيعْمل بِعَمَل أهل النَّار فيدخلها » مُتَّفق عَلَيْهِ

[2] . الرعد **39**

من شأن الأبدال وطلب المغفرة للمؤمنين والمؤمنات مع تحقق نفوذ الوعيد في طائفةٍ من المؤمنين فتأمل ذلك.

ثم قال ﷺ.

" **وما ندري وما أحدٍ من الناس يدري ما يفعل الله به وبغيره** ".

قلت هذا هو الحق الذي لا مرية فيه اذ كان سيد المرسلين ﷺ يقول.

﴿ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إلى وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾[2].

فما ظنك بغيره وإنما قال ﷺ للاحتجاج والعبودية والرجوع لاتساع العلم في محل الإبهام ورفعاً للتحصيل بالاكتساب في ذلك بدليل قوله.

﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إلى وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾.

﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾[3].

ومحال أن ينصرهم مع وجود التبدل فهي بعينها دليل على ثبوت عدم التبديل في حقهم، ثم برهانُ ذلك عقلاً في قصة نبي الله شعيب صلوات الله عليه قال

﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا** ﴾[4].

---

[1] . البقرة 286

[2] . الأحقاف 9

3 . غافر 51

4 . الأعراف 89

فجعل برهانُ صِدقهِ عدم تبدله وذلك لازمٌ في كل نبي لأنَّ تبدله تكذيب لدعواه وما كان الله ليبعثه ليطاع ثم يكذبه وقد قال تعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1].

ثم قال ﷺ.

" وعليك أيها الطالب الراغب بتقوى الله تعالى ".

قلت افتتح الفصل بالحقائق، ثم أتى بالمُذِكرات، ثم خلص للأمر والنهي وهو العرض الخارج فَأَمَر بالتقوى لأنها سِرُّ المقام الأول لتوقفه على الطهارة كما تقدم، والتقوى طهارة الجوارح من المعاصي والنقائص وطهارة القلوب من الصغائر والعيوب وتداخل كل مقام لقوله تعالى

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثم اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثم اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

فجعلها سبحانه شرطاً في الإسلام والإيمان والإحسان فافهم.

ثم قال ﷺ.

" وعليك بالكتاب والسُنَّة من غير زيادةٍ ولا نقصان ".

---

[1]. النساء **64**

[2]. المائدة **93**

قلت أراد بذلك ما دَلَّ عليه مضمُنهما من علمٍ وعملٍ لأَنَّ النور فيه بالذات وأولى ما رجع به إلى الله ما جاءنا عن الله

وقد قال تعالى

﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾[1].

إلى غير ذلك مما هو معلومٌ غير محصور وبالله التوفيق

ثم قال ﷺ.

" **وعليك بحفظ جوارحك وحواسك الظاهرة والباطنة** ".

قلت أراد حفظها من المعاصي أولاً ثم العيوب ثانياً ثم من النقائص ثالثاً ثم من الالتفات رابعاً ثم مِمَّا سوى الحق خامساً وإنما هو تأديب ثم تهذيب ثم تدريب ثم ترتيب ثم تقريب ثم تغريب فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وهي السمعُ والبصرُ والقلبُ والفرجُ والشَّمُ والذوقُ والأيدي والرجلين والبطنُ** ".

قلت وجميعها واضح وتفصيله موجود في كُتبِ الأئمة ظاهرٌ غير الذوق فإنه يتعلق به أمرٌ خفيٌّ هو تشتت الهِمَّةَ في إدراك المختلفات والخوض في الأمور لإدراكها وهو ضامن العطب فقد قال عليه السلام.

---

[1] . الأنعام 153

" **في كلِّ وادٍ من قلب ابن آدم شعبة فمَن تتبع قلبه تلك الشعاب لم يُبالِ الله في اي وادٍ أهلكه** "[1].

ثم قال ﷺ.

" **وواحدةٍ إذا حَفِظها الإنسان حفظه الله تعالى وهي القلب للحديث النبوي إنَّ في الجسد مضغة إلى آخر الحديث** "[2].

قلت لما كانت هذه الجارحة المذكورة لها مدخل في كلِّ شيء كان كلُّ شيءٍ تابع لها في صلاحها وفسادها وقد أشار ﷺ لذلك بأولِ الحديث إذ ذكرَ فيه الحلال والحرام والشُبهةَ وكأنه يقول وأصلُ العمل في ذلك أخذاً وتركاً إنما هو القلب فافهم تَصِبْ إن شاء الله

ثم قال ﷺ.

" **فهي أُمهاتُ السمعِ والبصرِ والفؤادِ** ".

قلت يعني أنَّ الثلاث المذكورة في الحديث منَ الحلالِ والحرامِ والشُبهةِ مع أصلها الذي هو القلب، هي أُصول ما يظهرُ في عالمِ الجسمِ من نقصٍ وزيادةٍ فإنَّ التوفيق بين الماء والدقيق، ومَن أكلَ الحلال أطاع الله أحبَّ أَمْ كره ومن أكلَ الحرام عصى الله أحبَّ أَمْ كرِه، وكُلْ ما شئت فمثله تفعل واصحب مَن شئت فأنت

---

1. عن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله ﷺ " إنَّ قلب ابن آدم بكلِ وادٍ شعبةً فمَن اتَّبع قلبه الشُّعب كلها لم يُبال الله بأي وادٍ أهلكه " رواه ابن ماجه

2. صحيح البخاري ومسلم

على دينه والأسِرَّة تدلُ على السريرةِ وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره يلوح ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر فافهم.

ثم قال ﷺ.

" وجميعٌ مع الحُكمُ الواجبُ في التنزيل والتقوى ودوام الطهارة بالغدو والآصال وذِكرُ الموتِ وذِكرُ القبرِ وذِكرُ الجنَّةِ والنَّار والحِسابِ والميزانِ والصراطِ ".

قلت وجميع هكذا وقع في نسخة الشَّيخ ومعناه أنَّ جميع ما ذُكِر لا يفيدُ حفظه إلَّا مع مراعات الحُكم الواجب أو جميع ما ذُكِر دائرٌ مع الحكم الواجب فلا يصح أن يراعي فيه غيره ولا يتم إلَّا بالتقوى وهي تبرئة القلب عن الذنب بواسطة الحذر او إيثار رضاه، والمراد بالطهارة التطهر من الذنوب بالتوبة ومن العيوب بالإنابة غُدواً بتجريد العزمِ على الطاعة أصيلاً بمطالبة النفس بذلك والاستغفار من الخللِ الواقعِ فيه فإنَّ الغدوَّ للتحصيل والأصيل للتفصيل وجوف الليل للتوصيل وما بينها ملحوظ بها فافهم.

وذكرُ الموت فما بعده للتحصين لأنَّ تِذكار العواقب تعين المراقب وتنبه الراغب وتثير الرغبة لغير الطالب ولذلك قال عليه السلام.

" اكثروا من ذكر هادم اللذات، يعني الموت "[1].

ودال هادم معجمه ومعناها قاطع والله اعلم.

[1] . رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن ماجة

ثم قال ﷺ

" **فيا لها من زلةِ قدم وثبوت قدمٍ وحسرةٍ وندم مع الغم والهم** "

قلت زلةُ القدم في الحال بالعصيان، وفي المال بالنيران، وثبوت قدم في الحال بالطاعة، وفي المال بالجَنَّة وحسرة على الفائت الذي لا يمكن استدراكه ونَدمٌ على القيام بالأمر حيث الإمكان قال الله تعالى.

﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثم لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾[1].

والغم للكفار والهم للعصاة لأنه لا راحة لكافر، والمؤمن مرتاح لعفو الله فمَن نظر بهذا لم يمكنه التسويف ولا التفريط إن باشرته حقيقة سويداء قلبه كما أشار إليه الشَّيخ ﷺ بعد قوله.

" **نوَّرَ الله قلُوبنا وقلُوبَكم بنورِ الايمان في** "

﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[2].

قلت يعني خلي مما سواه وهو نور الإيمان المذكور في الحديث وكأنه يقول في سؤاله سَلَّم الله قلوبنا من غيره حتى نلقاه بقلوب منوره اي سليمة من غيره ليس فيها سوى ذكره ويحتاج لذلك في الدار الآخرة من حيث أنه مطلوبٌ في الدنيا وكلُّ مطلوبٌ فيها مُطَالَبٌ به في الآخرة نعم وعمله لا ينقطع وهو تعظيم الربوبية

1. الزمر 54 ، 55
2. الشعراء 88 ، 89

والرضى عن الله بما يَرد من أحكامه وافقت النفس أو خالفتها كما قال قائلهم في حاله.

" وإن أدخلتني النار أعلمتُ أهلَ النَّار أني أُحبك ".

فاعرف ما أُشيرَ إليه وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" واعلم أنَّ الموعظة الحقيقة هي جذب الحق لك ولطف الحق بك وأن يخلقُ الله في قلبك الخوف الشديد الملازم لقلبك وتستحضر عظمة الله تعالى والخوف من الله والمحبة لله تعالى والشوق إلى الله تعالى ".

قلت يعني أنَّ إفادة الوعظ ليست من خارج ولكن من حقائق القلوب وحقائق القلوب من مواهب علَّامُ الغيوب قال في الحِكَم.

" تَمَكُّنُ حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال، لا يُخرِجُ الشهوة من القلب إلَّا خوف مزعج أو شوق مقلق ".

قال بعضهم.

" نحتُ الجبالَ بالأظافير أيسرُ من زوال الهوى إذا تَمَكَّن قال الله تعالى".

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

[1] . الجاثية 23

يعني أنَّ الحِيَل والأسباب لا تُفيد فيه وإنما يُفيدُ ما يَرِدُ عليه من واردات الحق، إنَّ الله يُسمِعُ من يشاء فالتذكير والوعظ ونحوه إنما هو تعريضٌ لِمَا عسى أن يُلقيه الحقُ في القلوب من دواعي القبول فإذا صادف مغناطيس الحقيقة إبرةَ القلبِ جذبها بما أودع فيه من خاصية التحقيق.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1].

فافهم وبالله التوفيق ثم ذكر.

فقال الشَّيخ ﷺ.

قال الله تعالى.

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾[2].

" والفِرارُ على قسمين فِرارٌ من الله وإلى الله وهو فِرارُ الصديقين المقرَّبين، وفِرارٌ من خلق الله إلى الله وهو فِرارٌ من الخلق إلى الحق وهو فِرارُ الطالبين الراغبين إلى الله تعالى ".

قلت الفِرارُ بمعنى الهروب وهو يقضي بنقص المَهروب منه ولحوقه بأذى ونفع المهروب إليه ووجود حمايته لمَن قصده، وكلُّ شيءٍ دون الحق كذلك لا نفع فيه ووجود الأذى حاصلٌ منه قال في الحكم.

" أراد أن يُزعِجك إليه من كلِّ شيءٍ حتى لا يُشغلك عنه شيء ".

---

1 . النور 40

2 . الذاريات 50

إذا عملت أنَّ الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمَّن ناصيتك بيده جعل لك عدو لِيَحوشك به إليه وحَرَّك عليك نفسك ليدوم إقبالك عليه، ومعنى الفِرارُ من الله إلى الله أن يُضَيِّق عليه الفضاء في شهوده حتى لا يجدَ مَحيداً عن مولاه كما قال تعالى.

﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إليه ﴾[1].

وفي مناجاة الحِكم.

" قد دفعتني العوالم إليك وأوقفني عملي بكرمك ".

ومعنى الفِرار من الخلق إلى الحق هو أعمال الأسباب والدخول بطريق الاكتساب وهو شأنُ المتوجهين قال في الحكم.

" اهتدى الراحلون له بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة ".

فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا لشيءٍ دونه.

﴿ قُلِ اللَّهُ ثم ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[2].

ثم قال ﷺ.

" والقسمان المذكوران الأول والثاني من الفِرار كلُّ واحدٍ منهما على مراتب ومقامات ".

---

[1] . التوبة 118

[2] . الأنعام 91

قلت مراده أنَّ الفِرار المذكور مواقف ومراتب غير منحصرة لا من حيث الجملة ولا من حيث التفصيل لتعلقها بأنواعٍ من الخلق وأشخاص غير منحصرة مع تعدد الوجه والتوجه في الجميع والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" والتفرقة تُوجِبُ ذكر الافتراقات، والجمعُ يُوجِبُ ذكر الجمعيات العامةِ والخاصة ".

قلت التفرقة شهودُ خلقٍ بلا حق أو مع الحق، والجمع شهود خلق بحق، ومَن كان حاله الفرقة كانت حركاته جاريةٌ عليها، ومَن كان حاله الجمعُ كان أمره جار عليها وسواء في مقام التوجه أو غيره قال في الحكم.

" إنما استوحش العُبَّاد والزُّهاد من كلِّ شيءٍ لغيبتهم عن الله في كل شيءٍ فلو شهدوه في كلِّ شيءٍ لم يستوحشوا من شيء ".

وقال أيضاً

" الزُّهَّاد إذا مُدِحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من المَلِك الحق ".

ومعنى العامة المتعلقة بكل شيء في الوجود، والخاصة المتعلقة بالتوجه وأيضا باعتبار الواقع في الكون أو في وجود الشخص وحده قال في الحكم.

" ما استُودِع في غيب السرائرِ ظهر في شهادة الظواهر " فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وكلاهما يختلف باختلاف الأحوال والأرواح** ".

قلت يعني كلٌ من الجمع والتفرقةِ يختلف من حيث الجملة باختلاف الأرواح ومن حيث التفصيل باختلاف الأحوال وهي غير منحصرة ولا متوقفة على عددٍ ولا أمدٍ إذ حالُ أهلِ الجَنَّةِ جمعٌ في جمعٍ ولذلك قالوا.

﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ** ﴾[1].

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** ﴾[2].

وحالُ أهلِ النار تفرقةٌ في تفرقةٍ إذ قالوا.

﴿ **يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ** ﴾[3].

﴿ **يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا** ﴾[4].

﴿ **يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا** ﴾[5].

إلى غير ذلك فافهم.

ثم قال ﷺ.

---

[1] . الزمر 74

[2] . فاطر 34

[3] . الأنعام 27

[4] . الأحزاب 66

[5] . الأنبياء 97

" **فسبحانَ مَن أحصى كلَّ شيءٍ عدداً** ".

قلت ذِكرُه للتسبيح تَنبِيهٌ على التعظيم، واقترانه بذكرِ العدد والإحصاء دليلٌ على أنه تعالى رفعه عن إحاطةِ البشر جسمانية مشاهد من وراءِ حجاب الإدراك العقلي والقياسي، والكشف الخيالي والله اعلم تنبيه مدار هذا الفصل على الأمداد والاستمداد من حيث حقائقها وشروطها ومبانيها ومعانيها وجملته راجعة، لأنَّ أصل المدد نورٌ يتنزلُ من خزائنِ الرحمة على قلوبِ أهلِ الطهارةِ والصفاء الذاتي دون واسطة فيعتدى لكلِ متعلقٍ بهم لأنَّ مَن تحقق بحاله لم يَخل حاضره منها، ثم نورٌ يواجهُ أهل التوجهِ من حيث توجههم فيُفيدون به على قدرهم ولذلك لا تصح منهم تربية إلَّا بالدخول فيما يُأمرون به، ثم نورٌ ينبسطُ على عوالم قلوب المؤمنين فيُفيد كلَّ أحدٍ على مقداره دون إمدادٍ ولا استعداد وهو الأخير والله اعلم.

***

فصل

في بارقٍ لاح للقلب فشاهد لمعناه واستضاء بنوره في وقته وحاله واستباح جميع ما قابله من نفس وروح وقلب فدخله وشاح اي اعرض عن محل ظهوره مع بقاء طرف منه فيه لأنَّ الإشاحة الإعراض ببقية، ثم سَاحَ في بادية الجسم وراح في سياحته ومحلها في روح الرياح اي معها والمراد رياح المقادير الجارية بالتصريف جلالية كانت أو جمالية فكان دائراً معها كيف دارت واقفاً معها حيث وقفت مرتاحاً إليها كلما جرت وَرَعدَ بقوته في أفقِ ظهورهِ حتى زعزع محلها بزعازعه فخشعت

وذلت، وبَرَقَ عليها بلوائحه المَرَّةَ بعد المَرَّةَ حتى تَنَبَّهت ومَطرَ مطرُ التذكر المُنْبِت لِعُشبِ العمل المُهيِّئ لحراثة محلِّه ببذر الذِّكر والفكر بوادي الصَفَاح صفاحُ القلوبُ والنفوسُ والأرواح والاصطفاح الذي بعد عالم الجسم ونحوه وإنما كان الأول صفاح وهذا اصطفاح لأنَّ الأول لا يحتاج إلى تَعَمُّل في تحصيل المطلوب بخلاف هذا ولهذا كان الوجدان فيه مقرونا بالعمل والله اعلم.

ومدار ذلك كله على استخراج ما في حقائق النفوس من نبات التحقيق كما قال صاحب " **المباحث الاصلية** "[1]

وهي من النفوس في كمين كما يكون الحَبَّ في الغصون
حتى إذا أرعدت الرعود واسكب الغيث وَلَانَ العود
وجال في أعطافها الرياح فعندها يرتقبُ اللِقَاح

ثم قال ﷺ

" **كأنَّ جيشه خيول عليها رجال متقلدين بالسلاح** ".

قلت مَثلَهُ الآن بأميرٍ له جيوش هي الوجوه المذكورة بعده فوق هذا وإنَّ كلَّ واحدٍ في تفصيله كأنَّهُ أميرٌ له أجناد قد تهيأ للحرب بلباس العِدَة وإعداد السلاح وهي تضمنه من القوة التي يأتي بها المُشَبَّهة بالمطر في قوتها وكثرتها وإصابتها كما أشار إليه

[1] . هو أبو العباس أحمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي 821 هـ

إذ قال ﷺ.

" **فامطر مطراً من ماطر الرِماح** ".

قلت رماح المعاني بسنان الأحوال التي لا تأتي على شيء إلَّا اتلفت وجوده قال في الحكم.

" الوارد يأتي من حضرةِ قهَّار لأجل ذلك لا يُصادِمهُ شيءٌ إلَّا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " انتهى.

ومع هذا فهو مصحوبٌ بالالتذاذ والتَّنعُّم.

كما قال ﷺ.

" **في نشاوى من حميا الارتياح** ".

قلت النشوان هو الطرب الذي لا يملك حركاته من السكر وإن كان له تَعَقُّلٌ ما وهو ما غلبته في ذلك مستريح بما يجد من اللذة وكذلك أهلُ هذه الاحوالُ يَجِدونَ من لذاذة المواجهة ما يستريحون له في عين مفارقتهم المألوف والمشتهي فافهم.

والحميا الخمر في الأصل والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **فبتنا في ليلة ترشقنا السحاب بالنِّبال وتصعق لنا فيها برقاتُ الصواعق وزمرها** ".

قلت عبَّر بالليلة عن زمن الوارد، والسحاب عبارة عن الوارد نفسه والنِّبال عبارة عن أثره الواقع في النفس قال في الحكم.

" لا تُزكِّيَنَّ واردٌ لا تعرف ثمرتهُ فليس المُراد من السحابةِ الأمطار وإنما المُراد منها وجود الأثمار " انتهى.

وصارت الصواعق برقات وزمر لأنها تبعث للمقصود وتلذذ النفوس مع كونها مزعجةٌ وهو معنى ما تقدم قبل والله اعلم، ثم نزع الشَّيخ بآيةٍ كريمةٍ تُشير لمعنى ما ذكر

فقال ﷺ.

﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا** ﴾[1].

قلت وجه التوقيع هنا أنَّ وجود اليأس من الموجودات فاتحٌ لأبواب النصرِ والظَفَرِ حتى في نفس الشخص لتضمنه وجود التذلل لله سبحانه قال في الحكم.

" الفاقات بسطُ المواهب إن أردت ورود المواهب عليك صح الفَقرُ والفاقةُ لديك".

وقال أيضاً فيه.

" ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرعَ بالمواهب إليك مثل الذِلةَ والإفتقار".

وقال فيه أيضاً.

[1] . يوسف 110

" سبحان مَن ستر سِرَّ الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية " انتهى.

ولا إشكال في الآية على رواية تشديد الدال بخلاف تخفيفها، ومن التأويل فيها أنَّ قومهم كَذبوهم ما وعدوهم من التصديق ونحوه ويكون ظنوا بمعنى تحققوا أنظر الشفا وغيره إن شئت انتهى.

ثم قال ﷺ.

" قد شفى الله أراضي قلوبنا من غيثه الهامل وقد ارتوت قلوبنا بعد ظمأها من ماء سيله السائل فهو سائرٌ على وجه الأرض ".

قلت قوله بعد ظمأها يدلُّ على تقدم الري لها وهو صحيح لأنها ارتوت بماء المعرفة يوم الميثاق والمُعاينة ثم اعترت رياح العوائد وشموس الفوائد فاحتاجت لوجود الزيادة حتى تقبل حرث الوعظ لبذر الشرائع والحقائق وإخباره ﷺ عن نفسه بهذه الحالة وقع عن غلبةٍ أو قصدٍ تشويقٌ للهِدايةِ إذ عباراتهم إما لفيضانِ وجدٍ أو لقصد هدايةِ مريد.

وهذا الثاني هو الظنُ به لا سيما مع قوله فهو سائرٌ لآخره وكأنه يقول أنَّ حقائق القلوبُ ظاهرةٌ على الأبدانِ قولاً وفعلاً بحيث لا تخفى على أحدٍ كما قيل.

دلائلُ المحبةِ لا تخفى على أحدٍ كحاملِ المسكِ لا يخفى إذا عبقا

واعلم أنَّ حقيقة المحقق من وليٍ أو غيره مشهودةٌ بمُشاهدته غير أنه قد يعتدى الناظر التَّردد لقصوره أو تقصيره أو ما يلحقه من عوارض النفس

وقد أشار إلى هذا ذلك الصحابي ﵁ في إخباره عن النبي ﷺ إذ قال.

" فلما رأيته علمتَ أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب "[1].

وفي معناه لو لم تكن فيه آياتٍ مبينة لكان منظره يُنبِئك بالخبر والعلماء ورثةُ الأنبياء فلهم في ذلك نسبةٍ على مقدارهم وإن كانوا لا يوازونهم في الفضل وبالله التوفيق، ثم ذكر الشَّيخ آيتين جامعتين بمعنى المدد والإمداد.

فقال ﵁

﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾[2].

﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[3]

قلت أشار بالآية الأولى إلى أنَّ أصلُ هذا البارق وغيره من معنى ذلك وأنه موضحٌ لما أودع منه في الأسرار والقلوب من حين الإشهاد والاستشهاد والشهادة قال في الحكم.

" أشهدك من قبل أن استشهدك فنطقت بالإلهية الظواهر وتحققتْ بأحديته القلوب والسرائر ".

ولَمَّا كان مدد الوجود كله من معنى الرحمة في باب المعاني أو المحسوسات كانت شاملة لوجوه المدد الواصل الموضح للحاصل ولذلك أُضيف الاستواء لذكر اسمه الرحمن كما أشار إليه في مناجاة الحِكم حيث قال .

---

[1] .إشارة إلى حديث، رؤية عبدالله بن السلام لرسول الله ﷺ حين قدم إلى المدينة

[2] . الأعراف 172

[3] . الأعراف 156

" يا مَن برحمانيته على عرشه، فصار العرش غيباً في رحمانيته كما صارت العوالم غيباً في عرشه ".

فانظر معنى ذلك وتأمله إن شئت وربُك الفتَّاح العليم.

ثم قال ﷺ.

رحمـــــــــةُ الله واسِـــــــعة	فـــاتقِ الله يـــا خـــي
إن تكـــن عـــاملاً لـــه	اســـتحي منـــه واســـتحي
بحـــرُ جـــوده يعِـــم مَـــن	فـــي البـــراري ومَـــن يجـــي
أيهـــا العـــارف الـــذي	بـــالهوى أنـــت ترتقـــي
مـــن بعـــدِ مـــا جـــاء مخبـــر	مَـــن يخـــافُ منـــه يرتجـــي

قلت طلب التقوى بواسطة الرحمة لأنه بابٌ متَّسعٌ وأحسن مداخله الحياء منه لسابق رحمته ولاحقها فلذلك عدَّ ركن الحياء، ثم أشار لأنّض الحياء المذكور ملحوظٌ من حيث عموم وجوده وأفضاله قال في الحِكم.

" إن لم تُحسن ظنَكَ به لأجل وصفه حَسِّن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عَوَّدك إلّا حُسنا وهل أسدى إليك إلّا مِنَنا " انتهى.

وارتقاء العارف بالهوى التفاته للمراتب كما ذكره الفقيه أبو عبدالله المقري رحمة الله عن شيخه أبي هادي مصباح بن سعيد المعروف بعبد الهادي ﷺ وأنه قال لمريديه يوماً.

" بمَ يرتفع المريد إلى رتبة أعلى من رتبته

قالوا بفضل الله ورحمته فقال

إنما سالتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا لا ندري أو كما قال.

فقال الشَّيخ ﷺ

يخلقُ الله لهُ هِمَةٌ أعلى من هِمته فيرتفع بها إلى رُتبةٍ أعلى من رُتبته " انتهى.

والإشارة بقوله من بعد ما جاء مخبر للشارع صلوات الله وسلامه عليه ونَبَّه بذلك على أنَّ أصلُ البدايات الرجاء والخوف ثم ما ذكر من الهِمَم والله سبحانه اعلم

ثم قال ﷺ.

" **اعلم أنَّ الطَّامةُ الكُبرى والدواهي الدَّهيا هو الإعراض عن الله بالكلية في أيام الصحةِ والعافية** ".

قلت ما قاله واضحٌ ومعناه في الحكم الخذلانُ كل الخذلانِ أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتَقل عوائقك ثم لا ترحل إليه، وقوله سوء الخاتمة عند خروج روح الإنسان إما إلى الجنة وإما إلى النار يعني بسوءِ الخاتمة ما هو أعمُ من الكُفرِ فإنَّ مَن لَقيَ الله على معصيةٍ هي خاتمته كان على فضيحةٍ عظيمةٍ وإن سَلِمَ من النارِ، والكافر لا حديث عليه والذي أشعر بالشمول وجود التنعيم آخِراً والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **نسأل الله العافيةَ والسلامةَ الدائمةَ في الدنيا والآخرة** ".

قلت العافية حصول سبب يسكن القلب له عن التقلب معنوياً كان أو حسياً وهو يختلف باختلافِ الهِمَم والأشخاص، فعافيةُ أهلِ الدنيا في تحصيلها وتحصينها، وعافيةُ أهلِ الدِّين في تحصينه وتحصيله ثم كذلك ومراده بهذا، العافيةُ من سوءِ الخاتمة والسلامة في الدنيا من العار وفي الآخرة من النار والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" وبعد لابدَّ من الأعمال لقوله ﷺ.

" انما الاعمال بالنيات "[1].

قلت أراد أنَّ الأحوال لا عبرة بها إن لم تُثمر عملاً كما تقدم في كلام ابن عطا الله من قوله.

" لا تُزكينَّ وارداً لا تعرف ثمرته ".

واستدلاله بالحديث يبني على أنَّ فِهمهُ فيه أنَّ الأعمال مقصودةٌ لتصحيح النِيَّات ويشهد له نِيَّة المؤمنِ خيرٌ مِن عمله ونِيَّةُ الفاجرِ شَرٌ من عمله سواء قلنا باعتبار أنَّ جزاء كلَّ واحدٍ عليها أو غير ذلك.

[1] . قال علقمة بن وقاص الليثي سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة بنكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" رواه البخاري.

ثم قال ﷺ

" **والنية هي نفحةٌ من نفحات الله يخُص بها مَن يشاءُ من عبيده والله ذو الفضلِ العظيم** ".

قلت يعني النِيَّةُ المقتضيةُ لوجود الأعمال الباعثةِ عليها أعني قصد وجهه وقد قال الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

" النية عدم غير المنوي عند أرادة الدخول فيه ".

وقال في الإحياء.

" انها تجري مجرى البعوث ".

وقال في موضع آخر.

" إنما الشأنُ في النِيَّةِ فإنها معدن غرور الجُهَال ومزلة أقدام الرجال، وحديث الأعمال بالنِيَّات قيل أنَّ الدِّينَ كله منحصرٌ فيه، وقيل هو رُبعه، وقيل نِصفهُ والله اعلم.

***

فصل

حرفان هما قافُ الإحاطةِ وكافُ التكوينُ ظهر فيهما أصلان هما الخليقة والحقيقة، عالمان هما عالم الملك والشهادة، وعالم الغيب والملكوت وهما وجودان مختلفان أحدُهما سُفليٌ والآخرُ عُلويٌ وكل واحدٍ منهما يقضي بصورته نفي الآخر وإن جَوَّز وجوده فيهما بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لتحصين الأول وتحصيلُ الثاني اذ جاءوا بمصباح الدُّنيا والدِّين ونزولِ القران إنما لذلك أيضاً.

قيل لبعضهم لكُلِّ كتابٍ ترجمةٌ فما ترجمةُ كتابنا يعني القران

فقال.

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1].

وقوله الذي.

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[2].

يعني الذي وصفه الله بذلك فهو محيطٌ جامعٌ دائرٌ على ما ذُكِرٍ وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" هذان الأصلان كلُّ روحٍ ونفس منفوسة من الحيوانات والجمادات داخلة فيهما ".

1 . إبراهيم 52

2 . الأنعام 38

قلت يعني داخلة فيهما من حيث أنَّ مدار ذلك كله عليهما إلَّا من حيثُ الواقع ولا من حيثُ المتوقع لأنَّ الحيوانات محتويةٌ على معاني الملكوت بما فيها من الشواهد، وظاهرها عين الملك قال الله تعالى

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1].

وقد أتى الشَّيخ بالآيةِ الجامعة لذلك

فقال رضي الله عنه

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2].

قلت اختلف في معنى الآية هل هو تسبيح قال وهو الذي عليه أكثرُ العلماء وأصحاب الحقائق، أو تسبيحُ حال وهو مضمن بتسبيح المقال لأنَّهُ ينشأ عنه اذ هو نتيجة العلم بموجبه فافهم فالمقال مُلْكِي والحال مَلَكُوتي وكلاهُما له مظهرٌ في وجودِ الشخص فقد قال في الحكم.

" جعلك في العالم المتوسط بين مُلْكِه ومَلَكوته ليُعلمك جلالةَ قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكوناته " انتهى.

فانظر معناه في الشرح

1 . الأعراف 185
2 . الإسراء 44

ثم قال ﷺ

" **فظهر لنا أنَّ هاهنا حُجُبٌ كثيفةٌ على قلوب بني آدم وحُجُبٌ أيضاً على العوالمِ كلها إنما ينظرون بنوا آدم هذه العوالم كلها، أعني السموات والارض وجميعُ ما فيها من حيوانٍ ناطقٍ وغيرِ ناطق، وجميعُ ذرات الوجود المُودعة في هذه العوالم إنما ينظرها بنوا آدم من حيث طبيعتهم وعقلهم وإدراكهم** ".

قلت يعني أنَّ الوجود كله ممنوع من إدراكِ حقائق بعضهُ لبعضٍ بما أودع الحق سبحانه فيه من سر الاحتجاب والحُجب ولكن لا تفقهون، وكلما أدركه المُدرِكون من معاني الوجود وحقائقه وصوره إنما أدركوه على قدر قواهم فلا يفهمُ أحدٌ من الوجود غير نفسه ولذلك لا يتأثر إلَّا بما فيها ألَا ترى إلى أنَّ الأعجميَّ لا يتأثر بنغمة العربي ولو كانت أحسنَ النغم وبالعكس وإن تأثر بها فعلى نُقصٍ وقياسٍ وهمي لا أنَّ حقيقته تتحرك بِكُنهِما فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **لا من حيث وَضَعَها الموضوع الحقيقي** ".

قلت يعني لا من حيث ما رَكَّبَ فيها واحتوت عليه حقائقها ولو كان ذلك ما اختلفت فيها الأفهام ولا اختلفت فيها الأوهام ولتساوت فيها الأحكام فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **لأنَّ خِلْقَتها التي هي أصلُ فطرتها محجوبة عن بني آدم** ".

قلت يعني لأنها لا تُعرف أصولها وما لا يُعرف أصلُه لا يحكم على حقيقة فرعه وإن توصلت الأفهام لتصوره وإدراكه جملةً، فلا وصول إلى حقيقته من حيث التفصيل ألَا ترى لعجز الخلق عن تكييف المُدركات الحِسّية وتصورها بالفهم والوهم دون إدراك مماثل لَمَّا ظهرت فيه فافهم والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **ولا ينكشف هذا النظر التام على أصل خلقته الذي خلقه الله عليه إلَّا لأربابِ البصائرِ والحقائق الذين حصل لهم الامتزاج بالعالم الروحاني الحقيقي** ".

قلت أراد بالنظر التام رؤية الحُجُب من الجانبين وهو أصلُ الخلقة التي خلق الله عليها العوالم ولولا ذلك لَمَا تم وجودها ولا صح لها شهود قال الله تعالى.

﴿ **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ** ﴾[1].

قال في الحكم.

" أباح لك ان تنظر ما في المكونات وما أذِنَ لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات ولم يقُل انظروا السموات، فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات ليلاً يدُلك على وجود الأجرام ".

" الأكوان ثابتةٌ بإثباته وممحوةٌ بأحدية ذاته " انتهى.

فاعتبرَ الناظر من وراء الحجاب والإفادة به تجد الكُلَّ حُجُبٌ في عين الكشف، والعالم الروحاني هو قابل المعاني والأمور القدسيَّة، وأرباب البصائر هم الناظرون

[1] . يُونس 101

بنور الحق في الوجود، وأرباب الحقائق هم المعتبرون لكلِّ شيءٍ بحقيقته، ومعنى حصول الامتزاج لهم هو أنهم في وجودهم يصير كلَ شيءٍ منهم فيه روح الروحانية فلا ينظرون إلَّا بتقديسٍ ولا يُدركون إلَّا تقدِّيساً لأنَّ الروح مُقدَّسة فكل ما كان مقدَّساً فَمن نسبتها لا عكسه ورؤية الشيء على ما هو عليه من آثار التَّقديس عن الخطأ والكذب فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **الذي هو حياة العوالم والمعالم والعالم** ".

قلت حياة العوالم من حيث أنه سِرُّ وجودها، والمعالم من حيث أنه قصد موجودها، والعالم من حيث أنه مَحطُ رحله لأن كلَّ شيءٍ دائرٌ على سِرّ الروح، ومن ثم كان الإنسان نقطةُ الكونِ ومسمار الوجود قال سيِّدي أبو العباس المرسي ﷺ.

" قرأت ليلةً والتين والزيتون فكُشف لي عن اللوح فإذا فيه لقد خلقنا الإنسان في أحسنِ تقويمٍ روحاً وعقلاً، ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوىً " انتهى.

وهو دائرٌ على مراكز النُّقصِ والكمال الذي محله الروح والحيوانية والله أعلم.

ثم قال ﷺ.

" **ومنه قوله ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** "[1].

قلت أراد أنَّ نظره عليه السلام التام الكامل الناشئ عن بصيرةِ الحق أو حقيقةَ روحانيته المُطهرةِ التي لا يعتريها نقصٌ ابداً أوضح له من حقائق العالم ما يوجبُ لهم أن يضحكوا قليلاً وأن يبكوا كثيراً وأنَّه منفرد يعلم ذلك دونهم فانظر لِمَا دلَّ عليه الكلام من إثباتِ رُتبتهِ في إخباره عن العوالمِ مع ظهور البرهان بفقد المعلق لفقد المعلق عليه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم قال ﷺ

" **انظر أيها الطالب ما تحت هذه الكلمةِ العظيمةِ المختصرةِ باللفظِ الكبيرةِ في المعاني أنَّ تحت هذه الكلمةِ أمورٌ عظيمة** ".

قلت وتلك الأمور مشاهدةُ العظمةِ من وراءِ حجابِ اللفظِ الواقع عليها أعني عظمةَ الله ثم عظمةَ رسولِ الله المُعَظَّم بتعظيمه المطلق فافهم.

---

[1] . عن عائشةَ ﵂ قالت خَسَفَتِ الشمسُ في عهدِ رسُولِ الله ﷺ فصلَّى رسولُ الله ﷺ الناسِ، فأطالَ القيامَ، ثم ركعَ، فأطالَ الرّكوعِ، ثم قامَ فأطالَ القِيام وهو دُون القيامِ الأوّل ثم ركعَ، فأطالَ الرّكوعَ وهو دُون الرّكوعِ الأوّلِ ثم سجدَ، فأطالَ السُّجودَ. ثم فعلَ في الركعةِ الأخرى مِثل ما فعلَ في الأُولى، ثم انصرف وقد تجلَّتِ الشمسُ، فخطبَ الناسَ. فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال " إنّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله. لا يَخسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لِحياته، فإذا رأيتُم ذلك فادعُوا الله، وكبِّروا، وصلُّوا، وتصدَّقُوا ".ثم قال " يَا أمة مُحَّد والله ما مِن أحدٍ أغيرُ من الله، مِن أن يزني عبدُه، أو تزنِي أَمَتُهُ. يا أمة محمدٍ والله لو تعلَمُون ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلًا. ولبكيتُم كثيرًا" رواه البخاري ومسلم

ثم قال ﷺ.

" **هي ثمانِ كلمات** ".

قلت

أولُها لو، وهو حرفٌ يقتضي تعليقَ ماضٍ بماضٍ في النفي والثبوت.

الثاني تعلمون وهي محط معنى لو وموقِعها المقصود.

الثالثة والرابعة ما اعلم وهما شاهدي الحقيقةَ ومقصود الكلام.

الخامسة لضحكتم وهو ظهور فائدةِ حصولِ عِلمهم لو علموا.

السادسة قليلاً وهو مدار هذه الفائدة.

السابعة ولبكيتم وهي مظهر الفائدة الأخرى من حصولِ العلمِ لهم ان لو كان.

الثامنة قليلاً وهي مدارها وهذا بحسب التقريب والإشارة وإلَّا فنحن قاصرون عن فهم مدارك المشايخ في الوجود والمعرفة والشهود.

ثم قال ﷺ.

" **إنَّ تحت كلِّ كلمةٍ منها بحرٌ لا ساحل له ولا حَدٌّ له** ".

قلت يعني عند انتظام جملتها إذ لا يفيد كلها إلَّا بِكُلِها لتوقف أولها على آخرها فإنه خبرها والله اعلم.

ثم قالﷺ

" **وهو بحر العِلمِ الذي لا يُدرِكهُ العقل وتنطمس الأبصار إلى رؤيته** ".

قلت لتوقفه على الذوق مع اتساعه وتَشَعُّبهِ لان بُكاءَ كلَّ أحدٍ وضِحَكه على قدرِ رُتبته، وقد تقدَّم تفاوت الرُتبِ بما يُغني عن الإعادة، والمراد بالأبصار هنا وانطماسها بمعنى قصورها عن رؤيته وعدم إدراكه فافهم.

ثم قال ﷺ

" **وهو بَحرُ العزةِ والجبروت** ".

قلت لأنَّ عالم العزةِ ما منع الله ظهوره فلم يُظهِره لاحدٍ من خلقه كتعليق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها به، والجبروت ما امتنع إدراكه في الحال وسيُدرك فيما بعد كما في الدنيا مِمَّا لم ندركه وما يكون في الجنة إذ هو ما لاعينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشرْ وستراه العين وتسمعه الأذن ويخطرُ على قلب بشر، ثم ما أشار إليه يتعلق بعالم العزة من حيث امتناع الإحاطة به ويتعلق بعالم الجبروت من حيث ما وقع عليه وهي آثار التصرف المقتضي لِمَا ذُكر فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **وإنما تُدرك المحسوسات بحسب إحساسها المعهود** ".

قلت وإحساسها غير متصور عند غير من تعلقت به إلَّا من حيث المشابهة وهي لا تقضي بالحقيقة ألَا ترى أنَّ شهوةَ الجِماعِ لا يُدرك لَذتَها العنين لفقدان قياسها عنده ولا يُعبِّر عنها غيره لفقدان تصورها دون ذوق وكذلك حلاوةَ العَسلِ

ومرارة الصَبْر إلى غير ذلك، والمقصود أنَّ ما ذُكِر في الحديث لا مطمع لأحدٍ في إدراكه إلَّا بذوقِ بَعضهُ ثم المدرك مقتض للتجويز والتشبيه في حق مَن تعلقَ به غيرَ الناظرَ فيه وهو لا يفي بالحقيقةِ فافهمّ.

ثم قال ﷺ.

" وثَمَّ أطوارٌ من وراء ذلك المعقولُ والمحسوسُ لا يَعرفُها أحدٌ من الناس وإذا برزت للناس ربما يندهشون منها وفيهم من يموتُ، وفيهم يذوبُ ويذهبُ وجوده البَتَّةَ بِحسبِ شهود ما يرى مِمَّا تنبهرُ منه العقول والأبصارُ ".

قلت ما ذكره صحيح وشاهده في أحوال المجاذيب وغيرهم والعقلُ قاضٍ بتسليمِ ما فوق رُتبتهُ واعترافهِ بالقصور عن إدراكها، وقد قال بعض العلماء رحمة الله.

" لما انطبعت الصور في مرأة الخيال قال العقل انا الفلك المكوكي فقالت الرياضة الزُمنى وتعرف قدرك فاذا العقلُ عُقال " انتهى.

وفي حكاية الراهب الذي سأل نبي الله عيسى عليه السلام أن يسألِ الله أن يُذيقهُ ذرةٍ من خالصِ محبته فسأله ثم اجتاز به فوجده مبهوتاً قد خر به ما تحته من الارض إشارةٍ لذلك فانظره.

ثم قال ﷺ.

" وإنما عَبرنا بهذه البحور في هذه الكلمات لكون أنَّ الناطق هو النور المحمدي الأفصلي الأصلي ".

قلت أراد الله بهذا أنَّ كلامه هذا لا حاجةَ له فيه غير إظهار بعض البعض مِمَّا عنده من مشاهدةِ أنوارُ النبوةِ وتعظيمها ومعنى الأفصلي الفارق بفصله بين الحقائق ومعنى الأصلي الذي يرجعُ إليه كلَّ نور، ويخرج منه ولا يخرجُ عنه والله اعلم.

ثم قال ﵁

" **هو عين عناية الحق وهو نقطة الوجود وهو خزانة الأسرار المودوعة في الوجود** ".

قلت وذلك لأنَّ مدار الوجودِ على الرحمةِ كما تقدم وهو ﵇ عينُ الرحمةِ لقوله تعالى.

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1].

قال الشَّيخ أبو العباس المرسي ﵁.

" الأنبياء خُلِقوا من عينِ الرحمةِ ونبينا ﷺ هو عينُ الرحمة ".

وذكر الآية.

وقال ﵇.

" **إنما أنا رحمةٌ مُهداة** "[2].

قال الشَّيخ أبو العباس المرسي ﵁.

" الأنبياء لأُمَمِهِم عطيةٌ ونَبيُنا لنا هداية والعطية للمحتاجين والهديه للمحبوبين " انتهى فتأمله.

---

[1] . الأنبياء 107

[2] . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان

ثم قال ﷺ

" وهو نُورُ الله البارز في كلِّ شيءٍ ومن كل شيء ".

قلت فكل شيءٍ لا نسبة له منه فهو ظلمة قال الله تعالى.

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[1].

وقال ﷻ.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[2].

قيل يعني شاهداً على الشهود ومبشراً لأهلِ الوفاء بالعهود ونذيراً لأهلِ الكفرِ والجَحُود وسراجاً يُستضاءُ به في الوجود " انتهى بمعنى آخره وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" فهو مظهرُ الحقِ الأكبر وهو أكبرُ مظاهرِ الحق في الوجود ".

قلت ولذلك سماه نبيُّ الرحمةِ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ المراحمِ أعني لظهوره بصفة الكمالِ من النسبةِ الجلاليةِ والجماليةِ على الاستفاء وكذا في بِساطِ العبوديةِ ألَا ترى إلى ما قاله الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ في قوله.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[3].

إذ قال فتح باب السِريات بذكرِ العبوديةَ فمَن له كمال العبودية له كمال الأسرار وهو رسول الله ﷺ ولذلك أُسريَ بروحه وجسده، ومَن له قِسطٌ من العبودية

---

[1] . المائدة 15
[2] . الاحزاب 45 ، 46
[3] . الإسراء 1

له قِسطٌ من الإسراء فَيُسرى بروحه فقط على حسب نسبته كما قال فإني شاكٌ في لفظه وإن حاذيت معناه والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" فلذلك كلُّ حرفٍ من كلماته يُوازِن الجَمَّ الغفيرَ، وكلَّ قطرةٍ من فيضِ بحرهِ تُوازِنُ البحرَ الزاخرَ الكبيرَ وأعظمَ، وأعظمَ من ذلك بألفِ ألفِ نقيرٍ وقطمير لعمرك أنهم لفي سَكرَتِهم يعمهون، أُنظر هذه القَسَامةَ والكمالَ التَّامَ العَالِ والإجلالِ والإدلال ".

قلت معنى قوله الإدلال فتح بابه لأنَّ مَن أقسم بحياته فقد فتح له باب الإدلال عن غاية الأنس والاستدلال يعني فتح بابه للمستدلين على عظيم قدره ﷺ الذي لا يطاق حصر حاشيةٍ من حواشه ويرحمِ الله صاحبُ البردة حيث يقول.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسُب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ   وانسب إلى قدره ما شئت من عِظمِ

فإنَّ فضل رسولِ اللهِ ليس له   حدٌّ فَيُعربُ عنه ناطقٌ بفمِ

ثم قال ﷺ

" رجعنا إلى مانحن بصدده

﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾[1] ".

قلت يعني من الكلام فيما يتعلق بالحرفين رجع لِمَا هو بصدده وأشار بالآية للتَبَرّي من دعوى الإحاطة فيه والله اعلم.

---

[1] . يوسف 76

فصل

في بارقِ نورٍ يلوح للقلوب ويسكن فيها فلا يجد غيره مُساغاً لدخوله فيها ويلوح ولا يسكن، بل يرتحل بنفس نزوله ويسكن ولا يلوح بل يدخل القلب ويُعمّره من حيث لا يَشعُر به صاحبه

فإذاً مراتب الأنوار في وُرودها على القلوب ثلاثة، وقد نبه عليها في حِكم ابن عطاالله حيث قال.

" أنوار إذن لها في الوصول، وأنوار أذِن لها في الدخول، ربما وَردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشواً بِصور الآثار فارتحلتْ من حيث نزلت، فَرّغ قلبك من الأغيار تملأهُ المعارفُ والأسرار " انتهى.

وهو موافق بأوله لِمَا ذُكر لأنَّ التي أذِن لها في الدخول قد يشعر بها وقد لا، فهما قسمان والثالث قسيمهما ومقصود الفصل التنبيه على وجه وصول الإمداد للقلوب وكيفية وصولها من بداية البدايات إلى نهاية النهايات.

ثم الأقسام الثلاثة يدخل فيها المريد الصادق والمنتسب المُحق والمُحب المغرم كلٌّ على قدر ما لاح له وسكن في قلبه من حقيقةِ ما وصل له فافهم.

ثم قال ﷺ.

" أضاء بنوره الآفاق واستمر الضياء بالنور والإشراق دائماً في كل وقت وحين ."

قلت الإشارة بإضاءِ للبارقِ والآفاق نواحي القلب والقالب التي هي مظاهر الأحوال والأعمال ناتج الأنوار التي هي من التحقق في مقامات الإنزال كما أشار إليه في الحِكم، وقد يريد ما هو أعم واستمرار ذلك في وجوده من تمام نورانيته فافهم.

قال ﷺ.

" **صدقت سحائب مَاطِرهُ وأمطرت مَواطِرِه على أراضي نوادره وبوادره** " .

قلت ماطره هو العارف به الذي جرى المدد على يديه لكونه خازناً له وموصلاً منه على قدر ما يؤمر به أمراً شرعياً أو حالاً ذوقياً وصدق سحائبه كونها جاءت بما يظن منها من التأثير في قلوب ثم سحائب ماطره يعني العبارات الموصلةِ لِمَا في الصدر من وجود التجلي لأنَّه بحر أنوار تفيض منه الأمطار، وقد يكون صدقها بمعنى أنها نشأت عن تحقق فأثرت حقيقة بحيث صار التنويرُ وَصلَ التعبير كما قال في الحكم والله اعلم.

والنوادر عبارة عن غير المعتاد والبوادر عكسه وكأنه يقول تناول الوارد عليه النادر والمعتاد من أموره واستعاد لهما الأرض من جهة أنهما قابلي المطر ومُخرجي النبات فافهم.

ثم قال ﷺ.

" **كانت الأرضُ عطشانة ظمآنة مشتاقة للرطوبة فنكح الماطر المدر المادر** ".

قلت أنَّ أرض النفوس محتاجة لرطوبة الأحوال فإذا خلت عنها فذاك لعطشها من مطر الحقائق والمعارف الذي به حياتها، ثم هذا العطش هو الموجب لانفتاحها حتى يدخلها ما يتنزل عليها فأشبه أمطارها النكاح بأوله من هذا وبوجود النتاج في آخره، والمقصود أنَّ ما وقع من أنوار التجليات دخل في حقائق القلوب فَلَيَّنها للحق وانتجت على وفقه وجود الإتِّباع والصدق قال الله تعالى في وصف القران وما ينشأ عن تلاوته وسماعه من صريح الحلال.

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثم تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[1].

ثم قال ﷺ.

" **وأثمر تمرٌ نادرٌ وبادر من العزيز القادر** ".

قلت يعني أنَّ العبد عند التحقيق بهذه الأمور أثمر له النادرِ عن العادة والبادر المعتاد ما يقتضيه من فيضٍ وتحقيقٍ بشواهد وجوده وموجوده على قدرِ اتساعه وانطباعه وما وصل إليه من أمطار الحقائق فافهم.

ومقصود هذا الفصل أنَّ الوضع له سحائب وتلقيات وثمرات وكلها ذوقية والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" **يا طالب يا راغب افتح آذان قلبك لمُناغات هذه الكلمات** ".

قلت يعني التي صدرت عنه وعن أمثاله من العارفين فإنها سحائبُ تحملُ أمطار المعارف، فإن صادفت أرضُ نفسك التي صغت لآذان قلبك مستبعدة، داخلتها فأنتجت، وإن وَجَدَتْها صلدةً رجعت من وقتها كما تقدم من كلامِ ابن عطا الله، وقد قال في الحكم.

" العبارات قوت لعائله المستمعين وليس لك إلَّا ما أنت له آكل " انتهى. فتأمله.

ثم قال ﷺ.

" **استمع الألحان** ".

[1] . الزمر 23

قلت يعني الحان الوجود بشواهد الشهود التي هي دلائل الصنع ومعاقل الحقائق فافهم.

ثم قال ﷺ.

" غَنَّى حمائم أصواتها على دوحات أشجار أودية أفهامها بِغِناءٍ مُعَرَّبِ المعاني كامل المثاني شابت في التفاني والفناء الفاني ".

قلت فبإعرابِ معانيه يفهم، وبكمال مثانيه يستلذ وبثبوته يحكم به وله، وكونه الفناء الفاني هو المقصود ومدار ذلك على قولِ الشاعر.

وفي كلِ شيءٍ له آيةً ... تدل على أنَّه الواحد

ثم قال ﷺ.

" قد أجَرَّ أذياله الشامل السكران وتمايل وارتياحاً ".

قلت طرباً بما سَمِعِ من المعاني كما قال أبو العباس بن العريف ﷺ.

بدا لك سِرٌّ طال عنك اكتتامه ... ولاح صباحٌ كنتَ أنت ظلامه

فإن غِبتَ عنه حَلَّ فيه ... وطنبت على منكبِ الكشف المصون خيامه

فأنت حجابُ القلبِ عن سر غيبه ... ولولا لم يطبع عليه خِتامهُ

وجاءَ حديث لا يُمَلُ سماعهُ ... شَهيٌّ إلينا نثرهُ ونظامَهُ

إذا ذكرتهُ النفسَ زالَ عنائها ... وزال عن القلب المَعنى قتامه

والمقصود أنَّ مَن سَمِعَ مُنادِ الحَقَّ من بساط الحقائق وشواهد الخلائقِ ثَملٌ من خمر الحقيقة فتاه على الوجود بأسرهِ رفعاً للهمةِ.

وأكبر من ذلك همَّةُ العارفين تتلاشا فيها جميع المقدورات فضلاً عن المخلوقات فافهم الإشارة من العبارة فإنَّ السِرَّ من وراء الستارة وبالله التوفيق والله اعلم.

ثم قال ﷺ.

" فهنيئاً مَرِيّاً لمَن ذاق أو ذاق بعض ما ذاق أو رأى مَن ذاق فقد قيل.

" المطر قريبُ عهدٍ بربه "[1]

فيستحيبُ البروز فيه والتبركَ عند نزول المطر، هكذا ذكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه، وهو مطر من السحاب فما ظنك بالمؤمن العارف بالله فمن الأحرى والأولى أنَّ النظر إلى العارف بالله، والصادق في الله والساير لله في الله النظر إليه بالتأثير ".

قلت تهنئته لمَن ذاق من حيث أنَّه وقع على ما يستلذ له ولا يمكنه الرجوع بعده والذائق للبعض كذائق الكُلِّ لاستوائهما في الاستلذاذِ والاستمرار وفي معناه.

وإذا شـربتَ مـن المحبـةِ جُرعـةً ألقيـت مـن فـرطِ الخِمـار خِمـار

فأما رؤية الذائق فمن حيث أنَّ الانتفاع برؤية الأولياء ثابت وقاسهُ بالمطر لشبهه به في النفع والوجه وقد قال الشيخ ابو العباس المرسى ﷺ.

" إذا كانت السلحفاة تُربي ولدها بالنظر فكيف بالعارف بالله ".

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ.

[1] . عن أنس ﷺ أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر. قال فحسَرَ رسول الله ﷺ ثوبَه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسولَ الله لِمَ صَنَعْتَ هذا؟ قال " لأنه حديثُ عهْد بربِّهِ " مختصر مسلم

" لو كُشِف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السَّماء والأرض فما ظنك بالمؤمن المطيع ".

وسمعت بعض الصالحين يقول.

" وقفت على حديث هو.

" **إنَّ لله عباداً مَن نظر فيهم نظرةً سَعِدَ سعادةً لا يشقى بعدها أبداً أو كما قال** "[1].

ثم قال ﷺ.

" **وفيه سعادة الدنيا والآخرة عند مصادفةَ المَحل والتوفيق، وفيه أيضاً شقاوة بالضد كما ذكرنا في الأول** ".

قلت يعني أنَّ فيه شقاوة الدنيا والآخرة كما أنَّ فيه سعادتهما وأقلَ ما فيه من السعادات الدخول في دائرةِ الولاية لقولهم.

" الإيمان بطريقنا هذه ولاية وحبُّ الأولياء ولاية "[2].

قال ابن عطا الله.

" وذلك لأنَّ الإيمان بالفتح لا يكونُ إلَّا بفتح أو كما قال وقد أشار رسول الله ﷺ للانتفاع بالولي والتضرُّر به بحديث.

" **من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة** "[3].

---

1. . رواه ابن عباس، وقول انس بن مالك ﷺ " والله ما نفضنا أيدنا بعد دفن النبي ﷺ حتى وجدنا النقص في قلوبنا "

2. . قول الجنيد ﷺ " الإيمان بطريقنا هذه ولاية "

3. . عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل قال " من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلى عبد بشيء أحب إلى مما افترضت عليه وما زال يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني عبدي أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه " رواه البخاري في الصحيح

وهذا وجه التضرر به ووجه النفع به في قوله.

" **كنتُ سمعهُ وبصرهُ** ".

إذ ذاك عبارة عن إطلاق التصرفُ بِحُكمِ الخلافةِ دون حِجرِ وهو غايةُ الكرامةِ وفيه موالات من والاه فافهم وبالله التوفيق.

ثم قال ﷺ.

" **نسأل الله المحبةَ في الله وأهلِ الله كافةً بل عامةً وخاصة، حبهم وحب مَن يحبهم وحب الله ورسوله وجميع أوليائه وعباده الصالحين من السموات والأرضين آمين، آمين، آمين** ".

قلت وهذا كله واضحُ المعنى غيرَ محتاجٍ إلى بيانٍ، ومَن أحب قوماً حُشِر معهم لكونه منهم نفعنا الله بهم آمين.

ثم قال ﷺ.

" **فعليك أيُها الطالبُ الراغبُ إلى الله تعالى.**

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ﴾[1].

هذا شيء قد فرغ الله.

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[2] ".

قلت محط الوصية غير مذكور في النص ولكنه متضمن في الآية المذكورة ومقصوده أن لا يدخل في بساط الحق بالهوى فيُريد الإمداد والنفع أن يجري على وفق مراده لأنه أمرٌ يُغير في وجه المقصود إذ قد فرغ من الأمر ووجوه الحقائق لا

[1] . الشورى 32

[2] . الرعد 39

تدخل إلَّا بالفناء لأنها غير معتادة، ومن حقائق الأدب معاملة كل مِحل بما يليقُ به كخليل الرحمن ﷺ لَمَّا ألقِيَ في المنجنيق اعتزل الأسباب لقوله.

" حسبي من سؤالي ".

وحيث نظر في الوجود قال.

﴿ **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ** ﴾[1].

فافهم وتأدب في بساط الحق وإلَّا كنتَ مطروداً متعوباً في عين اغترار ألَا وهي المصيبة الكبرى وبالله التوفيق.

خاتمة

" **أيها الطالب عليك بالتوكلِ على الله والرجوع إلى الله والوقوف مع الله كل ذلك كما ينبغي ذاتا وصفاتاً قولاً وفعلاً، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى وآله وسلم** ".

قلت نصيب الذات قصد العبودية والصفات تعظيم الربوبية والقول لذكره والفعل لأمره والله سبحانه أعلم، ثم هذه الخاتمة هي آخر كلام المؤلف هنا وهي جامعةٌ لمعاني ما قصدَ في الكتاب وما احتوى عليه من حقٍ وصوابٍ وبفراغ الكلام عليها نجز ما قصدنا حسب التيسير والوسع، ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

---

[1] . الشعراء 84

الفهرس